

افلاکنا

بامبی

فاطمی

بعض: عبدالنواب یوسف
عن: فیلکس سالتین



دارالمعارف

افلاذنا

۳۸

بامبی

بقتلم : عبد التواب يوسف
عن : فيلكس سالتين



دارالمعارف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ شارع كورنيش النيل ج . م . ع

أشهر غزال في كل الدنيا

هل شاهدتم أو سمعتم حكاية « بامبي » ؟

إنها قصة غزال صغير ، لقي من كل الدنيا الاهتمام والإقبال حتى أنها ترجمت إلى الصينية واليابانية ، بجانب كل لغات أوربا ، وقد كتبها مؤلف من النمسا اسمه « فيليكس سالتين » Felix Salten .

كان معروفا في بلاده على أنه صحفي ، وكاتب مقال ، ومؤلف
للقصص وروايات لم تعبر حدود بلاده ، ولم يكن معروفا خارج
النمسا ، لأن عمله كان في صحيفة تصدر في فينا ، وفيها كان
يعيش مع أسرته المكونة من زوجة وولد وبنت .

ذات يوم من عام ١٩١٩ خرج مع مجموعة من الأصدقاء إلى الصيد في إحدى الغابات القريبة من « فينا » ولقد حمل أصدقاؤه بنادقهم وأدوات الصيد معهم ، ما عدا الكاتب «فليكس سالتين» ، لأنه كان يصطاد دائما بغير سلاح وبدون بندقيّة ، فكان يراقب الحيوانات ، ويتفرج عليها وهي تجرى حرة طليقة ، ويكره صيدها بالبنادق وقتلها ، بل كان يحاول أن يمسك الصيد بيديه ، إذا أمكنه ذلك ، وهو دائما وباستمرار يسأل نفسه :

- ترى ما هو شعور هذه الحيوانات نحو الصيادين وبنادقهم
ورصاصها ؟ ، ترى بماذا تحس حين تسمع طلقات الرصاص ؟ ،
ترى ما مدى كراهيتهم للإنسان الذى يقدم على قتلهم ؟ .

ولما كان «سالتين» يتجول فى الغابات ، يشاهد الحيوانات ويراقبها
ويفكر فيها ، فقد فكر أن يكتب قصة عن غزال . يصور فيه مدى
الرعب الذى يصيبه عندما يأتى الإنسان لصيده ؟ ، وبدأ سالتين
يكتب قصة « بامبى » الغزال الطريف .

واستمر سالتين يكتب قصة « بامبى » حتى سنة ١٩٢٣ ،
واستغرقت منه أكثر من خمس سنوات ، وبعد أن انتهى منها أطلع
ابنه وابته عليها ، ثم نشرها فى « فينا » حيث لاقت إقبالا هائلا
وأحبها الجميع ، فقد دخلت قلوب الأطفال بسهولة ، وبعد خمس
سنوات ترجمت إلى الإنجليزية ، فقرأها أطفال إنجلترا وأمريكا
وأحبوها مثلما أحبها أطفال النمسا .

وقد اكتسب «سالتين» عن طريق قصة « بامبى » شهرة خارج بلاده ،
لم يكتبها ككاتب صحفى أو كاتب مقال فى جريدة كبيرة ،
لأنه كتب عن هوايته ، وهى صيد الحيوانات بدون رصاص وبدون
قتل .

وكانت تجربة مثيرة أن يكتب قصة للأطفال ، وكانت أول
 وآخر تجربة ، برغم أنها نجحت نجاحا باهرا ، جعلته من أشهر
كتاب النمسا وفى العالم فى ذلك الوقت .



إلى الدنيا . هذا شيء عجيب ، حقيقة أن كل ما تفعله أيها الغزال
شير دهشتي وأراه عجيبا ، ترى هل يستطيع الجرى ؟ .
أجابت الأم بصوت حنون : طبعاً ، ولكن اعذرني إذا لم أتحدث
إليك الآن ، عندى أعمال كثيرة يجب أن أنجزها أولاً ، كما أننى
لازلت أشعر ببعض التعب والإجهاد .

كانت الأم ترقب وليدها وتأمله باهتمام ولهفة ، غسلت جسمه
بلسانها . ربت عليه ودلته كأنها تدلك جسمه بماء دافئ .

وترنخ المخلوق الصغير واهتز جسمه قليلاً . ثم استجمع قواه
الواهنة ، وتماسك فى وقفته بفضل ضربات لسان الأم الحانية التى
تلحق جسمه فى رقة ووداعة هنا وهناك ، كان فراؤه الأحمر المرقط
لا يزال أشعث ، وقد ارتسمت عليه بقع بيضاء رقيقة جميلة ، وبدا
على وجهه الطفلى الهادئ البرئ تعبير ناعس غامض .

لم يفهم الغزال الوليد شيئاً مما حوله ولم يلتفت إلى الروائح التى
عبقت بها الغابة ، لم يسمع غير صوت لسان حنون يلحق بفراءه
 ويفسله ، ويدفقه ، ويقبله ، ولم يشم غير رائحة جسد أمه بجواره ،
وأحب رائحة الأم فأخذ يدنو منها ويزداد التصاقاً ، وبحث بفمه
فى لهفة وشوق عن طعام يمدّه بالحياة .

وبينما كان الوليد يرضع ثدى أمه ، ظلت الأم تهدد رضيعها
وتدله ، وهمست فى أذنه « بامبى » وأخذت ترفع رأسها بين لحظة
وأخرى ، تنصت ، وتششم الهواء حولها . ثم عادت وقبلت وليدها
ثانية راضية سعيدة مطمئنة ، ونادته مرة أخرى « بامبى » صغيرى
العزير : « بامبى » .

الفصل الثانی

هلت بشائر الصيف ، وسكنت الأشجار تحت السماء الصافية
الزرقاء ، ومدت أغصانها تستقبل أشعة الشمس ، وخرجت الأزهار
من أكامها ، وافرشت تحت قبة الأشجار العالية بساطاً أخضر تخاله
سماء رصعتها نجوم حمراء وبيضاء وصفراء ، وخرجت من أديم
الغابة حشود الأزهار كأنها نجوم متعددة الألوان ، ولعلت التربة
ببريق يفيض بهجة هادئة نابضة بالحياة . وعبق كل شيء بعطر
أوراق الأشجار النابتة ، ولأزهار المتفتحة ، والتربة الندية ، والغابة
الخضراء ، وكلما طلع الصباح ، أو غابت الشمس ، ترددت في
كل جنبات الغابة آلاف الأصوات فيطن النحل ، وتقر الدبابير من
الصباح حتى المساء ، فتملاً السكون العطر بطينها .

كانت هذه هي الأيام الأولى من حياة « يامبي » ، اعتماد السير خلف أمه عبر ممر ضيق يخرق الأشجار ، وكلما مر بين الأشجار ، ربت أوراقها الكثيفة على جنبه في حنان ، وانحت أغصانها في طاعة وطلاوة لتفسح له الطريق ، يبدو الممر وكأن عشرات العوائق والحواجز تشده في مواقع مختلفة ، غير أنهما يعبران في يسر وسهولة ، فقد ألفت أمه مثل هذه الممرات التي تملأ كل أنحاء

جمد « بامبى » فى مكانه ، وقد استبد به الفضول وقال :
منى ؟ .

الأم : حالا ..

سارت الأم فى هدوء ، وتبعها « بامبى » وظل صامتا يتساءل
متعجبا فيما بينه وبين نفسه عن معنى كلمة حالا .. واستنتج أن
معنى حالا ليس « الآن » تماما .

وإنما تعنى « بعد حين » أو بعد فترة طويلة ، وفجأة سأل أمه :
من الذى صنع هذا المر ؟ .

أجابت الأم : « نحن » ..

قال بامبى (فى دهشة) : نحن ؟ أنت وأنا ؟ .

قالت الأم : نحن ، نحن ، نحن الغزلان ..

عاد « بامبى » يسأل : أى غزلان ؟ .

أجابت الأم فى حزم وحدة : كلنا .. وواصل السير فى
طريقهما ..

أحس « بامبى » نشوة وسعادة ، وخيل إليه أنه يعبر الطريق
قفزا وإن ظل يلتصق بأمه ، وبينما هما فى الطريق سمعا حفيفا على
الأرض أمامهما ، أخفت أوراق نبات السرخس والخس شيئا يتدفع
فى حركة قوية عنيفة ، ودوت صرخة قصيرة حادة كأنها استغاثة

خطوات قليلة ، ثم تحولت خطواته إلى وثبات قصيرة ، وأحسن كأنه يطير فى الهواء دون أى مجهود من جانبه ، رأى فراغاً تحت خوافره ، وفراغاً تحت سيقانه كلما قفز إلى أعلى ، ثم فراغاً وفراغاً آخر ، وغمره شعور بالسعادة والفرح .

أثار أذنيه حفيف العشب من حوله ، وبدا له صوته رائعا مذهلا ،
أحس به يلامس جسمه في رقة وحنان ، ناعما كالحرير ، ركض
حول نفسه في دائرة ، ثم عاد لينطلق من جديد ركضا ووثبا في
دورات متتابعة .

ووقفت أمه تلتقط أنفاسها ، حرصت على ملاحقة « بامبي » بعينها ، كان هائجا جامعا ، وفجأة انتهى السباق ، توقف وقصد أمه رافعا حوافره في رشاقة ، بدا لها سعيدا مرحا . وسارا معا على مهل جنباً إلى جنب .

منذ أن دخل «بامبى» إلى الساحة الفسيحة فى الهواء الطلق ، أحس بجسمه كله ينعم ويستمتع بالسماء والشمس والمرج الأخضر ، ألقى نظرة خاطفة بعينين شبه مغمضتين إلى ضوء الشمس المبهر ، وقد أحس بأشعتها تسقط دافئة على ظهره .

بدأ الآن يستمتع بالمرج الأخضر، ويمتع عينيه به ، أذهلته مباحج
المرج وأعاجيبه مع كل خطوة يخطوها ، إنه لا يرى أثراً للتربة فى
أى مكان يطؤه بأقدامه داخل الغابة . لقد غطت أوراق العشب
والشجر كل مكان ، تتطاير وتراقص فى الهواء هنا وهناك ، وتنحنى

واصل « بامبى » وأمه سيرهما . أحس بالجوع فالتصق بأمه ليرضع .

ثم وقف صامتاً شاردًا حالما يحدق فى الفضاء ، وفى نفسه نشوة وسعادة يشعر بهما ، كلما التقم ثدى أمه يرضع ، لاحظ زهرة ساطعة تتحرك بين الأعشاب المتشابكة ، حدق فيها « بامبى » ، إنها ليست زهرة بل فراشة ، زحف « بامبى » ناحيتها .

تعلقت الفراشة بنصل عشب ورفرفت بجناحيها ببطء شديد .

قال لها « بامبى » : أرجوك أن تهدئى وتثبتى فى مكانك .

أجابت الفراشة (فى دهشة) : لماذا أهدأ وأثبت فى مكانى؟ إننى فراشة .

توسل إليها «بامبى» قائلاً : أرجوك أن تثبتى فى مكانك . دقيقة واحدة ، أتمنى وأتوق إلى أن أراك عن قرب ، من فضلك .

قالت الفراشة : حسن ، من أجلك ولخاطرك سأبقى ساكنة فى مكانى ولكن لفترة قصيرة .

وقف «بامبى» قبالتها ، وصاح مسحوراً مسلوب اللب : « آه ما أجملك . يا جمالك الرائع المذهل . إنك مثل الزهرة » .

صاحب الفراشة وهى ترفرف بجناحيها : ماذا ؟ أتقول إننى مثل زهرة ؟ لا . لا . عندنا نحن الفراشات نقول : إننا أرق وأجمل من الأزهار .

أُحْسَ « بامبى » بالخجل والحيرة ، وتلثم وهو يقول : آه ،
نعم أرق وأجمل كثيراً ، معذرة ، إننى قصدت فقط أن أقول ... » .
وقطعت الفراشة عليه حديثه وقالت : أياً كان ما تقصده ،
فالأمر سواء عندى . وقومت جسمها . ولعبت قرنى الاستشعار
الرفيقين .

تأملها « يامبى » مذهولاً مفتوناً وقال : ما أرقك وما أجملك ..
 بسطت الفراشة جناحيها على امتدادهما ، ثم رفعتها عالياً حتى
 تلاقيا كأنهما شراع منشور .

صاح «بامبي»: «أوه ، أعرف أنك أرق وأجمل من الزهر ، علاوة على أن الفراش يطير ، في حين لا تستطيع الأزهار الطيران ، لأنها ثابتة فوق سيقان تنمو عليها ، وهذا هو السبب ... » .

بسطت الفراشة جناحيها وقالت : « يكفي أننى أستطيع الطيران » .. وحومت فى الهواء خفيفة رشيقة ، ثم ارتفعت عاليًا حتى أن «بامبى» عجز عن أن يراها أو يتابع طيرانها ، كان جناحها يرفرفان برقة ورشاقة وأخذت تعلو وتهبط وسط الهواء الفارق فى ضوء الشمس ، وحومت حول « بامبى » وهى توازن نفسها فى الهواء وقالت له : « تعبت فى مكاني ثابتة كل هذه الفترة من أجلك فقط ولخاطرك ، والآن سأرحل عنك » .

وكان هذا أول لقاء بين « بامبي » والمرج .

أجابت الأم : « ستعرف كل شيء فيما بعد حين تكبر .. » .
أصر «بامبى» على السؤال : ولكن أريد أن أعرف الآن ..
رددت الأم الإجابة نفسها : فيما بعد ، أنت لا تزال طفلاً
غراً ، ثم واصلت حديثها فى رقة وحنان قائلة : نحن لا نتحدث
عن مثل هذه الأمور إلى الأطفال .

وبدت جادة مرة ثانية ، واستطردت قائلة : « الشبح يذهب
إلى المرج فى هذه الساعة من النهار ، وأنا لا أطيق حتى مجرد
التفكير فيه . ونحن الآن فى وضع النهار » .

وقال «بامبى» معترضاً : ولكننا ذهبنا من قبل إلى المرج فى وضع
النهار . قالت الأم موضحة له : الأمر مختلف . كنا فى الصباح الباكر .
واشتدت رغبة «بامبى» فى المزيد من المعرفة فسأل : ألا نستطيع
الذهاب إلا فى الصباح فقط ؟ .

تخلت أمه بالصبر وقالت : فقط فى الصباح الباكر ، أو بعد
الغروب أو فى الليل ، ولا يمكن أبداً أثناء النهار ، وترددت الأم ،
ثم قالت أخيراً : يحدث فى بعض الأحيان أن يذهب بعضنا أثناء
النهار ، ولكن تلك مناسبات خاصة ، ولا أستطيع تفسير ذلك
لك ، فأنت لا تزال صغيراً ، بعضنا يذهب إلى هناك ، ولكننا نكون
عرضة لأشد الأخطار .

سأل «بامبى» باهتمام شديد : أى الأخطار ؟ .

لذلك، وخيل إليه وكأن حركات الأذنين تقول : إنه لا يستحق الاهتمام .

ظل الأرنب طوال هذه الفترة يتأمل بامبى بعينه المستديرتين الواسعتين ، أنفه وفمه وشاربه الرقيق كلها فى حركة دائبه أشبه برجل يحاول أن يحبس عطسة فتراه يلوى أنفه وشفتيه فى حركة مرتعشة ، فضحك «بامبى» على الرغم منه ، وسرعان ما ضحك الأرنب بدوره ، وإن بدت عيناه تمان عن قدر كبير من الأدب الجم والتفكير ، وقال لأم بامبى : أهنتك . أهنتك بصدق وإخلاص ابنك ، حقا سيكون أميراً رائعاً ممتازاً حين يكبر ، كل من يراه يتنبأ له بذلك .

وكم كانت دهشة « بامبى » كبيرة لا حدود لها حين رآه يعتدل فجأة ، ويجلس على ساقيه الخلفيتين ، وبعد أن تحس وراقب كل ما حوله بأذنيه المنتصبتين وأنفه المرتعش على الدوام ، عاد ليجلس فى هدوء ووداعة على أرجله الأربع ، وأخيراً قال : أسألكم المَعذرة أيها الأصدقاء الطيبون ، عندى أعمال كثيرة جداً الليلة . أطمع فى كرمكم بأن تقبلوا عذرى ، واستدار ووثب وانطلق بعيداً وأذناه ممتدتين إلى الوراء حتى كادت أن تلامسا كفيه .

صاح به «بامبى»: طبت مساء ..

وابتسمت الأم وقالت : الأرنب الطيب ، إنه دمث حذر .. لا يهدأ بالاً ، ولا يشعر براحة فى هذا العالم ، وكان فى صوتها رنة تعاطف .

ترك « بامبى » أمه تتناول غداءها ، وتمشى للتنزه قريباً منها ،
لعله يقابل صديقه ثانية أو يتعرف على أشياء جديدة ، ذلك لأنه
يشعر بالقلق ما لم تكن الأمور واضحة تماماً له ، وسمع فجأة خفيفاً
خافتاً فوق العشب ، وأحس بوقع خطو سريع خفيف على الأرض ،
حدق بعينه أمامه ، لمح عند طرف الغابة شيئاً ما ينسل بين الأعشاب
هل هو حى ؟ لا ، فهناك شيطان ، ورمى « بامبى » أمه بنظرة
خاطفة ، ولكنها لم تكن متنبهة لشيء ، وقد دست رأسها فى
العشب . غير أن اللعبة كانت مستمرة هناك على الطرف الآخر من
العشب فى دورات متلاحقة تماماً مثلما كان يتسابق بامبى من
قبل ، أثار الموقف « بامبى » حتى أنه وثب إلى الخلف وكأنه يريد
الهرب ، ولاحظته أمه ، فرفعت رأسها ، نادته سائلة ؟ : « بامبى -
إيه الحكاية : » .

ولكن « بامبى » صمت ولم ينطق كلمة واحدة ، ضاع منه
الكلام من شدة الدهول ، واكتفى بأن تتمم كلمات متلعثمة :
« انظرى هناك » .

تطلعت أمه حيث أشار وقالت : آه .. إنها أختى ، ويبدو يقيناً
أنها ولدت طفلاً هى الأخرى . لا ، إن لها طفلين ، وتحدثت الأم
أول الأمر فى سعادة صادقة ، ثم تغيرت ملامحها وبدأت جادة
تماماً ، وقالت له تصور خالتك « عينا » لديها طفلان .

وقف « بامبى » يحملق فى المرج ، لقد رأى كائناً يشبه أمه

تماما ، لم يلحظها من قبل ، ورأى الأعشاب تهتز وتأرجح فى دائرتين ، ولكنه لم ير سوى ظهريْن أشبه بخطين أحمرين .

قالت الأم : « تعال . سنذهب إلى هناك ، سيكون طفلها رفيقين لك » .

أراد « بامبى » أن يجرى ، ولكنه تريت ، وأمسك نفسه عن الجرى حين رأى أمه تمشى على مهل ، تحديق بعينيها يمينا ويسارا مع كل خطوة تخطوها ، إنه لا يزال يشعر برغبة جامحة وقلق ونفاذ صبر .

واصلت الأم حديثها قائلة : قلت لنفسى إننا سنقابل أختي « عينا » يوما ما . ترى أين كانت مختبئة ؟ ودار بخاطري أنها أنجبت طفلا ، ولم يكن هذا أمرا يصعب تخمينه ، ولكنهما طفلان .. وأخيرا رأيتها أختها فأقبلت عليها ومعها طفلها ، وأراد بامبى أن يحسى حالته ، ولكن فكره كان مشدودا نحو الطفلين . وكانت الخالة ودودة للغاية ، فقالت له : آه حسن ، هذا جوبو ، وتلك فالين ، الآن اذهبوا لتلعبوا وتركضوا معا .

ظل الأطفال فى مكانهم جامدين كالأمواج ، يحديق كل منهم فى الآخر .

وقف « جوبو » إلى جوار « فالين » قبالة « بامبى » ، لم يتحرك أحدهم ، بل وقف كل منهم فاغرا فاه .

قالت أم بامبى : « هيا - اجروا ، ستكونون سريعا أصدقاء » .

ونادت أم بامبى : تعالى يابامبى . حان وقت الرحيل .

توسلت فالين إلى أمها قائلة : انتظرى قليلا يأمى ، مهلة قصيرة لا أكثر ..

وقال بامبى (فى رجاء وضراعة) : لنبق قليلا من فضلك ، الجو هنا ظريف ، وردد جوبو الكلام فى خوف وجبن : « الجو هنا ظريف » .

وقال الثلاثة فى صوت واحد : « لنبق فترة قصيرة أيضاً » .

التفت الخالة « عينا » إلى ام بامبى وقالت لها : ألم أقل لك ؟ هاهم لا يريدون الابتعاد عن بعضهم الآن .

ثم حدث شيء أثار بامبى كما لم يشره شيء آخر من قبل ، سمع صوت حوافر تدق الأرض آتية من أطراف الغابة البعيدة ، طقطقت الأغصان ، وخشخششت فروع الشجر ، وقبل أن يتمكن بامبى من الصمت انفجر صوت وسط الأحراش ، إذ أقبل شخص ما مندفعاً محدثاً ضوضاء وجلبة ، واندفع خلفه شخص آخر ، ومرقا بسرعة الريح ، وتحركا فيما يشبه الدائرة فوق المرج ، ثم اختفيا ثانية فى الغابة ، وإن ظل صوت ركضهما مسموعاً ، وخرجا من بين الأحراش مرة ثانية فى ضوضاء عالية ، ووقفوا فجأة جامدين كل منهما قبالة الآخر ، وإن باعدت بينهما حوالى عشرون خطوة .

تفرس فيهما بامبى دون أن يتحرك ، إنهما يشبهان أمه وخالته « عينا » ، ولكن يعلو رأس كل منهما تاج من قرون لامعة تنتهى

وقالت الخالة « عينا » بصوت وقور : هذان هما أبواكم ، ولم يعقب أحد بكلمة ، وانفصلت الأسرتان ، صحبت الخالة « عينا » طفلها إلى أقرب مكان داخل الغابة ، فقد كان هذا مأواها ، واضطر بامبي وأمه إلى اجتياز المرج صوب شجرة البلوط لكي يصلا إلى المر المؤدى إلى بيتهما ، وظل بامبي صامتاً زمناً طويلاً قبل أن يسأل أمه : هل لم يرنا الأبوان ؟ .

وفهمت الأم ما يعنيه : وأجابت قائلة : طبعاً .

أحس بامبي بالقلق والضيق ، بدأ يخجل من كثرة السؤال ، ولكنه لم يعد يحتمل ، فبدأ يسأل من جديد : « إذن لماذا ؟ ولكنه توقف عن الكلام » رأت الأم أن تساعد على الاستمرار فسألته : « ما الذي تريد أن تعرفه يا بني ؟ » .

بامبی : لماذا لم یبقا معنا ؟ .

أجابت الأم : إن الأب لا يقي معنا دائما طول الوقت ، وإنما أحيانا وفي أوقات محدودة .

واصل بامبی حدیثہ سائلا : ولكن لماذا لم يتكلم أحدهما معنا ؟ .

قالت الأم : ليس هذا موسم الحديث معنا ، إن الآباء يتحدثون في مواسم معينة ، علينا أن ننتظرهم حتى يأتوا هم إلينا ، وعلينا أن ننتظر حتى يتحدثوا هم إلينا.

إِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ كَمَا بَدَأَ لَهُمْ وَرَغَبُوا هُمْ فِيهِ .

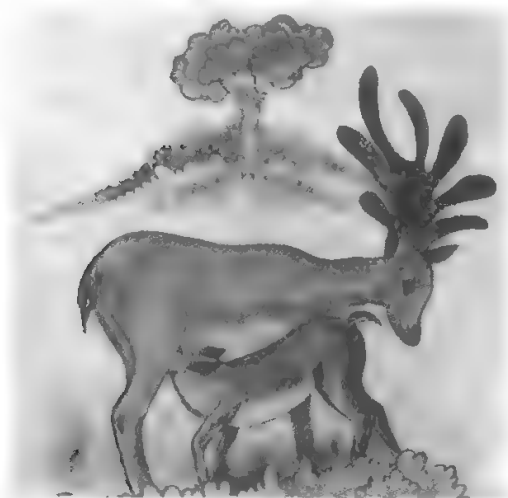
وسأل بامبي بقلب منقبض : هلا سيتحدث إلى أبي ؟ .

أجابت الأم وكأنها تعدّه بما يتحمى : طبعاً ... حين تكبر
سيحدث إليك ، وسيتبقى معه بعض الوقت .

مشى بامبي صامتاً بجوار أمه ، وملأت صورة أبيه عليه خياله ،
أخذ يردد فيما بينه وبين نفسه : « ياله من وسيم رائع قوى كبير
الحجم ، ياله من وسيم رائع قوى كبير الحجم » .

وكأنما الأم قرأت أفكاره فقالت له : « إذا امتد بك العمر يابني وكبرت ، وإذا كنت حذرا ولم تلق بنفسك إلى المهالك والأخطار ستصبح قويا وسيما رائعا كبيرا مثل أبيك . وستكون لك قرون طويلة مثل قرونه أيضا .

تنهد بامبی . وامتلاً قلبه بهجة وآمالا .



وتعلم الآن كيف يتشمم الهواء ، وأصبح خبيراً في ذلك مثل أمه سواء بسواء ، إنه يتنفّس الهواء ويحلّله بجواسه في وقت واحد ، يقول لنفسه حين تهب الرياح : « هذا برسيم أو عشب » . أو أن صديقي الأرنب هناك ، ها أنذا أشم رائحته بوضوح .

ويدرك من رائحة أوراق الشجر والكرات البري ونبات الخردل
أن ابن عرس قد مر من هنا ، ويعرف أن الثعلب على مقربة من
المكان إذا ما لامس الأرض بأنفه .

وشم الأرض بقوة وعمق ، أو قد يعرف أن واحداً من أفراد أسرته موجود بالقرب منه ، ربما تكون الخالة عينا وطفليها .
وألف الليل وأحبه وصادقه ، ولم يعد يريد الركض وضح النهار ، يؤثر الرقاد طول النهار في ظل الأكمة المورقة الوارفة الظلال بجانب أمه ، وقد ينصت إلى أزيز الهواء في شدة الحر ، ثم يروح في النوم .

ويحدث بين الحين والحين أن يصحو من نومه ، ويتصنت ويتشمم ليكون على بينة من كل ما حوله ، ويطمئن بالأحـين يجد كل شيء على ما يرام ، لاشيء غير أن طيور القرقف تثرثر مع بعضها ، والذباب يطن ولا يهدأ أبداً ، والحمام لا يكف عن الهديل تعبيراً عن فيض حنانه ورقته ، ما الذى يعنيه فى هذا كله ؟ لا شيء ويغلبه النعاس وينام .

أنه يجب الليل الآن حباً شديداً . كل شيء فيه حياة وحركة ،

طبعًا لا بد وأن يكون حذرًا أثناء الليل أيضًا ، ولكن أقل حذرًا من النهار ، ويمكنه أن يذهب إلى حيث يشاء وحينما ذهب يقابل معارف وأصدقاء . كلهم أكثر هدوءًا واطمئنانًا في الليل عن النهار . وتهب العواصف مرة أو مرتين أثناء الليل أو النهار ، حدثت أول عاصفة بالنهار ، وأحس بامبى بالخوف كلما أظلمت الدنيا ، وسادت العتمة في الفسحة التى يسكنها مع أمه ، خيل إليه أن الليل أرخى سدوله وحجب السماء فى منتصف النهار ، وارتجف بامبى حين هبت عاصفة هوجاء كادت تقتلع الأشجار التى بدأت تن من شدة وطأتها ، وحين ومض برق ، وقصف الرعد ، شل الخوف بامبى ومات فى جلده ، وظن أن هذه هى نهاية العالم ويوم القيامة الذى يتحدثون عنه ، جرى ليلحق بأمه التى قفزت مهتاجة مترعجة ، وأخذت تروح وتجيء على غير هدى داخل الأحرش عاجزة عن التفكير وعن فهم أى شىء . وهطلت الأمطار سيولا هادرة ، وجرى كل كائن يبحث عن مأوى يحميه ، وخلت الغابة ، ولكن لا مهرب من المطر ، الماء ينصب عنيفًا كالطوفان يقتحم كل مكان حتى أكثر الأحرش غلظة وكثافة ، ثم سكن البرق ، وكفت شعاعاته النارية عن النفاذ عبر قمم الأشجار ، وانحسر الرعد ، يسمعه بامبى الآن بعيدًا ، وسكن هو الآخر بعد قليل ، ووهنت دقائق المطر على الأرض ، وإن ظلت نقراته رتيبة متصلة حوله ساعة أخرى ، وبدت الغابة كأنها تتنفس بعمق وسط هدوء طاغ ، وسرى

أصابه الذهول لما حدث ، وشعر بالضيق والقلق . وأحس بحاجة ملحة إليها ، وقف حزينا يناديها ، ولكن لا مجيب .

تصنت وتشمم الهواء ، ولكن غابت رائحة الأم ، نادى
ثانية نداءً رقيقاً حائياً مشيراً كأنه يستعطفها بالدموع
« أمي ... أمي ... » ولكن دون جدوى . تملكه اليأس ، لم
يحتمل الأمر . بدأ يمشى على غير هدى ، سار على نفس الدروب
التي تعلمها ، يقف عند كل زاوية أو ركن يتنادى ، وأوغل في
المشى بخطوات مترددة ، واليأس والخوف يملآن نفسه ، وأسقط
في يده أخيراً حزينا .

هام على وجهه عبر ممرات كثيرة هنا وهناك لم يطرقها من قبل
ووصل إلى أماكن غريبة عليه ، ولم يعد يعرف أين هو الآن ولا إلى
أين يسير ، وسمع صوت طفلين يناديان بصوت مثل صوته :
« أمى ... أمى ... » جمد فى مكانه وأصت . إنها يقينا
جوبو وفالين ، لابد وأن هذا صوتهما .

هرع نحو مصدر الصوت ، لمح هناك لون فرائهما الأحمر ظاهراً
من بين أوراق الشجر ، رأى جوبو وفالين واقفين أحدهما بجانب
الآخر تحت إغصان شجرة يناديان في حزن « أمي ... أمي ... »
وأحسا بسعادة غامرة حين سمعا حفيفاً بين الأشجار ، ولكن خاب
أملهما حين رأيا بامبي ، غير أنهما شعرا ببعض الغزاء على أية حال .
وسر بامبي لأنه لم يعد وحيداً .

قال بامبي : لقد رحلت أُمِّي .

ورد جوابو بصوت فيه شكوى وأنين : وكذلك أمنا رحلت
أيضاً ... أو ... » وتطلع كل منهم إلى الآخر يائساً .

سأل بامبي وهو يكاد يركى وينشج : ترى أين ذهبوا ؟ .
تنهد جوبو وقال : لا أعرف .

كان قلبه يدق بعنف ويتمزق .. وبدا يائسًا . وفجأة قالت
فالين : أظن أنهما مع أبونا ..

نظر إليهما كل من جوبو وبامبي في دهشة . أحسا بخوف ورهبة ، وسألها بامبي وهو يرتجف : تفصدين أنهما في زيارة لأبونا ؟ .

وارتجفت فالين بدورها وإن تظاهرت بالحكمة ، وأنها خبيرة بأمور لا تعرفها ، والحقيقة أنها لا تعرف شيئاً ، بل ولا تدري من أين وانتهت هذه الفكرة ، ولكن حين سألتها جوبو قائلاً : « هل تظنين ذلك حقاً ؟ » هنا بدت على وجهها أمارات الجدية وأجابت : « نعم . أظن ذلك » .

إنه على أية حال رأى جدير بالاعتبار ، ولكن بامبي لم يشعر بالارتياح على الرغم من ذلك ، إنه لم يطق حتى مجرد التفكير فيه ، فقد بدا قلقاً حزينا .

وانطلق . لم يشأ البقاء في مكان ما . صحبه جربو وفالين بعض الوقت . ونادوا ثلاثتهم : « أُمى ... أُمى ... » ثم توقف جربو

وفالين . لم يجرؤا على الابتعاد أكثر من ذلك ، وقالت فالين :
« ولماذا نمشى ونبعد عن هنا ؟ أُمى تعرف أين نحن . لنبق هنا حتى
يمكنها أن تعثر علينا حين تعود » .

ومشى بامبى وحده . طاف عبر الأحراش الكثيفة حتى وصل
إلى فسحة صغيرة توقف بامبى قليلا ، وأحس فجأة وكأنه زرع
فى الأرض وثبت فوقها ولم يستطع التحرك والابتعاد عنها .
وفجأة وجد أمه معه ثانية ، أخذت تثب بجواره فوق الأعشاب ،
جرىا معًا جنبًا إلى جنب بأسرع ما يمكنهما ، أمه أمامه وهو
وراءها . لم تهدأ خطواتهما إلا عند الفرجة التى يأويان إليها .
وسألت الأم بصوت خافت : هل رأيته ؟ .

لم يستطع بامبى الإجابة ، فقد تقطعت أنفاسه ، واكتفى بأن
أوماً برأسه أن نعم .

قالت الأم : « ذلك هو »

وارتجفا ..

وحيثما بغير أنيس ، أحس بالتعاسة تكاد تملأ عليه نفسه ، لذلك عاد ينادي أمه .

فجأة رأى أحد الأبوين يقف قبائه ويتطلع إليه بوجه صارم ،
لم يحس بامبى بقدمه ، وشعر حين رآه بالفرع ، بدا هذا الغزال
العجوز أقوى وأطول وأكثر غطرسة وكبرياء من الآخرين ، يشع
من فرائه لون أحمر قاتم ، وينبعث من وجهه وميض فضي ، وتعلو
رأسه قرون طويلة سوداء معقدة .

وسأل الغزال العجوز بامبي بنبرة حازمة قاسية : لماذا تصيح ؟
ارتعد بامبي خوفاً ، ولم يجرؤ على الرد .

واستطرد الغزال العجوز قائلا : « أمك ليس لديها وقت تضييعه معك الآن » أحس بامبي بالخضوع والامتثال لصوته الأمر القاهر ، كما أعجب به في الوقت ذاته . « ألا تستطيع الاعتماد على نفسك ، عيب ، اخجل من نفسك » .

أراد بامبي أن يقول إنه قادر على نفسه تماما ، وأن يعيش وحده أكثر الأوقات الآن ، ولكنه عجز عن الكلام ولم يجر جواباً ، بدا طائفاً مستسلماً ، وغلبه شعور بالخجل الشديد ، واستدار الغزال الأب وانصرف ، لم يدر بامبي أين ذهب ولا كيف ، وهل مشى بخطوات بطيئة أم عدواً ، كل ما يعرفه أنه رحل فجأة مثما جاء فجأة ، شد بامبي أذنيه ليتصنت ، ولكنه لم يسمع وقع أقدام راحلة أو صوت ورقة شجر تتحرك ، لذلك ظن أن الغزال الأب لا يلد

وأنه موجود بالقرب منه قابلاً في مكان ما . وحاول أن يتشمم الهواء في كل اتجاه . لم يهتد إلى رائحة تدله على شيء ، وتهدد بامسى بارتياح لأنه أصبح وحيداً ، ولكنه أحس برغبة غامرة في أن يرى الغزال الأب ثانية ويحظى بموافقته .

وحين عادت أمه لم يحك لها قصة اللقاء ، وكف عن مناداتها واللاحاح في استدعائها ، ولم تعد صورة الأب تفارق خياله ، يفكر فيه كلما تجول في أنحاء الغابة . يحن إلى لقائه ، يود أن يقول له : « انظر ... ها أنذا لم أعد أنادي كل حين « أمي ... أمي ... » ولا ريب في أن الأب سوف يسعده هذا منه ويمتدحه له .

ولكنه قص القصة على جديو وفالين عندما التقى بهما في المرج بعد ذلك ، واستمعا له باهتمام ، ولم يجدا عندهما ما يحكيانه إذ لم يصادفهما في حياتهما شيء كهذا بعد .

وسأله جوبو بانفعال : « ألم تخف » ؟ .

اعترف له بامبي بأنه كان خائفاً قليلاً .

وقال جوبو : « لو كنت مكانك لمت في جلدي هلعاً » .

وأجاب بامبي بأنه لم يكن خائفاً إلى هذا الحد ، لأن الغزال الأب كان كريما شهما .

وأردف جوبو قائلاً : « لم يكن هذا ليفيد معي شيئاً . إنني كنت أخاف مجرد النظر إليه . إنني أفرع لرؤية البرق حتى أنه يعميني عن الرؤية ، ويكل قلبي يخفق بسرعة وتقطع أنفاسي » .

وغرقت فالين في بحر من الأفكار والخيالات بعد أن سمعت قصة بامبي ولم تعد تفتح فيها بكلمة .

وعندما التقيا للمرة الثانية أقبل جوبو وفالين قفزاً كأنهما يتعجلان اللقاء ، لقد كانا وحدهما فترة من الوقت مثلما كان بامي أيضاً ، وصاح به جوبو :

« كنا نفتش عنك طول الوقت » .

وقالت فالين (باهتمام) : « نعم ... لأننا عرفنا من هو ذلك
الذي رأيته » .

قفز بامبى فى الهواء وكله رغبة فى أن يعرف . وسأل بأعلى صوته : من هو ؟ .

قالت فالين بجدة ووقار : « إنه الأمير العجوز » .

وسأله بامبي : « من قال لك ذلك » ؟ .

أجابت فالين : أمي .

أذهلت الإجابة بامبي ، وسألها : « هل حكيتما لها القصة ؟ » .
— نعم .

وصاح بامبی غاضباً : ولكنها سر .

حاول جوبو التملص فقال : « لست أنا بل فالين هي التي حكمت لها » .

ولكن فالين صاحت بانفعال : « وما معنى سر ؟ لقد أردت

أن أعرف من هو ؟ » ، وها نحن جميعًا عرفنا وأصبح الموضوع
مثيرًا لنا جميعًا .

كان بامبي يتحرق شوقاً لسماع كل شيء . وترك فالين تحكي .

- والامير العجوز هو أضخم ذكر غزال فى الغابة كلها ، ليس كمثلته ذلك غزال آخر ، ولا يعرف أحدكم عمره ، كما لا يستطيع أحد أن يعرف أين يعيش ، ولا يعرف أحد أسرته ، وقليلون جداً من أسعدهم الحظ ورأوه مرة واحدة طوال حياتهم ، ويحدث أحياناً أن يمضى وقت طويل دون أن يراه أحد ونظن أنه مات ، ثم يظهر فجأة ، ويراه أحدنا لحظة ، فيعرف الجميع أنه لا يزال حياً ، ولم يجرؤ أحد على سؤاله أين كان مختفياً ، ولا يتحدث هو إلى أحد ، كما لا يجرؤ أحد على التحدث إليه ، ويسلك ممرات وسبلا لم يسلكها غيره ، ويعرف كل أسرار الغابة وأعماقها ، ولا يعترف بشيء اسمه خطر ، ويحدث أحياناً أن يقتل الأمراء الآخرون بعضهم بعضاً ، وقد يكون قتالهم مزاحاً ، أو صراعاً للانتصار على الآخرين ، ولكن ومنذ سنوات طويلة ، لم يجرؤ أى أمير على منازلة ذكر الغزال العجوز سيد الغزلان أجمعين ، ولم يبق على قيد الحياة أى واحد ممن نازلوه قديماً وصرعه ، إنه الأمير الأعظم .

صفح بامبى عن جويو وفالين إذ أفشيا السر لأمهما ، بل أسعده
أن أكشف كل هذا الأمور الهامة ، ولكن سره أيضا أن جويو
وفالين كانا يجهلان هذه المعلومات مثله ، إنهما لا يعرفان أن الأمير

القوية ، إنه يضم ثلاث أو أربع مخلوقات تسير متتابعة الواحد بعد الآخر ، وكان آخرها هو أكبرها جسما ، له معرفة طويلة منقوشة تحيط برقبة ، وقرون تشبه شجرة باسقة ، حبس «بامبي» أنفاسه وهو يتطلع إليهما ، ووقف يشغو ثغاء صادرا من القلب يعبر عن دهشته وإعجابه ، إنه لم يتفعل مثلما انفعل هذا المرة ، أحس بالخوف ، ولكنه خوف من نوع خاص ، إنه خوف ممزوج بالإعجاب ، والإجلال ، شعر بضالة نفسه ، بل إن أمه بدت في عينه صغيرة كأنها انكمشت ، وملاه شعور بالخجل لا يفهم سببه ، كما هزه خوف في الوقت نفسه ، ظل يشغو دون توقف ، ويجد في ثغائه المستمر راحة لنفسه .

مضى الركب ، لم يبق شيء يراه أو يسمعه . حتى أمه صمتت ، لا شيء غير أصوات ثغاء خافئة قصيرة يصدرها بامبي بين حين وآخر ، لاتزال الصدمة تملك عليه نفسه .

قالت الأم : « اثبت وتماسك . لقد رحلوا » .

وهمس بامبي في أذنها : « آه يا أمي ... من هؤلاء ؟ » .

قالت الأم : حسن ... إنهم فى نهاية الأمر طيئون لا خطر منهم ، هؤلاء هم أعمامك الكبار ، إنهم طباء مثلنا ، ولكنهم نوع آخر من الأطباء اسمه « الألك » . ويمتاز هذا النوع بأنه ضخم وقوى ، أقوى وأخضض منا كثيرًا .

ويسألها بامبي : هل لا خطر منها ؟ .

أوضحت له الأم ما يريد أن يعرفه ،إنها بصورة عامة ليست

حكى لها بامبي عن مقابله لأقاربه العملاقة .

صاحت البومة : « لا تحدثني عن الأقارب ... لي أقارب أنا
أيضًا ولكنني أكتفي بالطيران هنا نهارًا ، ولهذا فهم جميعًا دوني
الآن على الأرض ، لا لا ... لا فائدة من الأقارب ، إذا كانوا
أضخم منك وأكبر فلا خير فيهم لك ، وإذا كانوا أصغر منك وأقل
حجمًا وقوة فلا قيمة لهم ، وإذا كانوا أكبر منك فإنك لن تحتملهم
بسبب كبريائهم ، وإذا كانوا أقل منك لن يحتملونك لكبريائك ،
أفضل ألا تكون لي علاقة بأحد .

وقال بامبي ضاحكاً : « ولكنني لا أعرف حتى أقاري ،
لم أسمع عنهم ، ولم أرهم من قبل » . قالت البومة الحكيمة تنصحه :
لا تشغل بالك لهذا النوع من الناس . صدقني ، ودارت بعينيها
تحركهما حركة ذات معنى . ثم قالت :

صدقني ... هذه أفضل طريقة ، الأصدقاء خير من الأقارب ،
انظر إلى أنا وأنت . لسنا أقارب ولكننا صديقان حميمان كأحسن
ما يكون الأصدقاء وهذا أفضل كثيراً .

أراد بامبى أن يقول شيئاً ، غير أن البومة الحكيمة واصلت حديثها قائلة : « اسألنى فإن لى خبرة كبيرة بهذه الأمور . صدقنى ، أنت لا تزال حديثاً صغيراً ، وأنا أعرف أكثر منك ، هذا فضلاً عن أننى لا أحب أن أشغل بالى بالشئون العائلية » ، ودارت عنها علامة التأمل العميق ، واكسى وجهها بجدية تثير الإعجاب ، ولم يكن أمام بامبى غير الصمت .

الفضل السابع

وانقضت ليلة أخرى ، وأقبل الصباح بحادثة ، كان صباحًا مشرقًا ، نديًا ، منعشًا . عبق الأوراق فجأة بعطر شذى فوق أشجارها ، وتصاعدت من المرج سحب ذكية الرائحة غلفت قمم الأشجار .

سار بامبي تحت شجرة البلوط في المرج ، تألق المرج بقطرات الندى البراقة ، وعبق برائحة العشب والأزهار والأرض الندية ، وامتلاً بهمسات آلاف الكائنات الحية ، ووقف الأرنب الصديق هناك شاردًا كأنه يفكر في أمر هام ، ومرت بجانبه دجاجة تمشى بخطوات بطيئة ، تلتقط بمنقارها بعض البذور ، وتلتفت في حذر يمينًا وشمالًا ، وتلألأ ريشها البراق مع ضوء الشمس .

وكان أحد أمراء الغزلان واقفًا إلى جانبه ، لم ير بامبي من قبل أحد الآباء الكبار قريبًا منه إلى هذا الحد ، وقف ذكر الغزال قبالة بامبي بجانب شجرة البندق ، وقد أخفته بعض الأغصان ، لم يتحرك بامبي من مكانه ، انتظر حتى يظهر الأمير بكل جسمه ، وتساءل في نفسه هل ستواتيه الجرأة على التحدث إليه ، تلفت حواليه لعله

كبرياء وقوة ، ونظر إلى قرونه الطويلة وأحس فجأة بالشجاعة تملأ نفسه ، وقال في جرأة : أستطيع أن أبقي وحدي الآن .

تأمله الغزال العجوز قليلا ، ثم سأله في هدوء : أأنت أنت
الطفل الصغير الذى رأيته يوما يبكى ويصيح من أجل أمه ؟ .

أُحْسَ بامبي بالخجل والحرص ، ولكنه ظل متمالكا نفسه ، محتفظا بشجاعته ، واعترف له قائلا : نعم هو أنا .

حَدَقَ فِيهِ الْغَزَالُ الْعَجُوزُ فِي صَمْتٍ ، وَخِيلَ إِلَى «بَامْبِي» وَكَانَ
نَظَرَاتِهِ الْعَمِيقَةُ أَضْحَتْ أَقْلَ حِدَةٍ وَأَكْثَرَ هَدُوءًا وَاعْتِدَالًا . وَقَالَ لَهُ :
لَقَدْ وَبَخْتَنِي بَعْفُ يَوْمِهَا يَا أَمِيرَ لِأَنِّي أَخَافُ الْبَقَاءَ وَحْدِي ، وَمِنْذُ
ذَلِكَ الْحَيْنَ لَمْ أَعُدْ أَخَافُ .

نظر الغزال العجوز إلى «بامبي» نظرة إكبار وتقدير ثم ابتسم له ابتسامة خفيفة لا يكاد يلاحظها . غير أن «بامبي» أحسها ، وشجعتة على مواصلة الحديث فقال له وفي نفسه شعور بالثقة : « سيادة الأمير النبيل هل لي أن أسألك عما حدث ؟ فأنا لا أفهم شيئاً . من هو ذلك الذى يتحدثون عنه دائماً ويقولون إنه هو » ، ولكنه توقف عن الحديث خائفاً حين نظر إليه الأمير نظرة صارمة وكأنها تطالبه بالصمت .

وبعد فترة صمت، رأى «بامبى» الأمير يحدق فى الفراغ البعيد .
ثم قال : « استجمع حواسك كلها ، السمع والشم والبصر ،

النوم مع تلك الهمسات الغامضة الغرية الحزينة ، وسرعان ما تراكت أوراق الأشجار ، وأصبحت أكواما مكدسة مفككة فوق الأرض ، وكلما وطئتها الأقدام تطايرت وصدرت عنها خشخشة رقيقة خافتة ، وتدفعها الأقدام جانبًا مع كل خطوة ، فترفع أكوام الأوراق وتعلو يوما بعد آخر .

واستفاد بامبي كثيراً ، إذ تعود على الحذر الشديد في تلك الأيام ، حرص على أن يتشمم الهواء ، وأن ينصت إلى كل الأصوات ويميزها ، واستفاد من خشخشة الأوراق حين يسمع صوتها « شى شى .. شى » لأنها تحذره من بعيد قبل فوات الأوان ، يسمع خشخشتها مع أخف اللمسات فتنبذها ويوجد فيها الحارس الأمين . ثم جاء موسم الأمطار . شاهد الأمطار تهطل غزيرة منذ الصباح الباكر حتى المساء ، وقد تستمر في السقوط وتصل الليل بالنهار ، أو تمتد ليومين متتالين ، تهدأ أحيانا لتعود قوية غزيرة من جديد ، وأحس الهواء رطباً بارداً ، والدنيا كلها غارقة في مياه المطر . وإذا حاول أن يمد فمه ليلتقط بعض العشب امتلأ فمه بالماء ، وإذا جذب غصناً صغيراً بأسنانه اندفع نحوه سيل عارم من ماء المطر ، وانصب عنيقاً ليملاً عينيه ومنخاريه ، وصمتت أوراق الشجر ، فلم يعد يصدر عنها صليل ، إنها تترقد الآن شاحبة على الأرض ، غارقة في الماء والوحل ، صامته ساكنة بلا صوت ، وأدرك بامبي لأول مرة أن المطر شئ حين يهطل أياما متصلة ويبلل فرائه وجلده ، لم يسقط الثلج بعد ، ولكنه يشعر بالحنين إلى الجو الدافئ ، وأصبح

يخشى الخروج من بيته ليتجول وهو على هذه الحال غارقاً في الماء ، ولكن حين هبت ريح الشمال عرف بامبي معنى البرد . لم يعد يفيدته كثيراً أن يدس نفسه في حضن أمه .

ظن أول الأمر أن من المفيد والممتع أن يلتصق بأمه ، ويكفيه
دفع أحد جانبيه على الأقل ، ولكن ريح الشمال تهب عاتية غاضبة
تخترق الغابة طول النهار والليل ، أحس كأن قوة مجنونة نائرة
تدفعها لتمزق الغابة وتقتلعها من جذورها ، والأشجار تكن وتقاوم
في عناد ، كأنها في معركة ضد الريح الشرسة للدفاع عن النفس ،
يسمع أنين الأشجار وتأوهاتنا وصرخاتها الحادة حين تتشقق
الفروع ، ويسمع طقطقة غاضبة بين حين وآخر كلما تصدع ساق
وانكسر ، ويخيل إليه أن الشجرة المهزومة تصرخ من قسوة جراحها ،
إنه لا يسمع غير صراخ وعويل الأشجار بعد أن قهرت الريح الشرسة
كل الأصوات وأسكتها .

أدرك بامبي أن أيام الشدة والمعاناة والحاجة قد حلت ، وعرف كيف غيرت الأمطار والريح صورة العالم . تجردت الأشجار ووقفت عارية بدون أوراق ، وخيل إليه كأنها تمد فروعها وأغصانها البنية إلى السماء تسألها الرحمة ، وذوت الأعشاب على الأرض وتضاءلت كأنها غاصت في باطن الأرض ، حتى مأواه بدا له عاريًا حزينًا . ولم يعد قادرًا على أن يخفيه عن الأعين مثلما كان من قبل ، إنه مفتوح مكشوف من كل الجوانب .

و ذات يوم ، وبينما كان غراب صغير يحوم فوق المرج ، سقط
جسم بارد أبيض فى عينيه ، ثم تساقط بعد ذلك مرة بعد أخرى ،
وأحس كأن نقاباً رقيقاً قد أحاط بعينه ، بينما تتراقص من حوله
ندف بيضاء صغيرة .

كان بامبى فرحاً أول الأمر بالثلج ، الجو هادئ رقيق ، والسكون يسود كل شيء حوله ، ورقائق الثلج البيضاء تتساقط متتابعة ، واكست الأرض برداء أبيض ناصعاً ، واختلفت صورة العالم أمام عينيه ، بدت الدنيا أكثر خفة ومرحاً ورونقاً ، وظن «بامبى» أن الشمس لو أشرقت بعض الوقت فسوف يستحيل كل ما حوله إلى أجسام ناصعة البياض تتلألأ وتعشى الأبصار .

ولكن «بامبي» لم يعد يسره أن يرى الثلج ، بل بدأ يضيق به بعد أن تعذر عليه العثور على الطعام ، كان عليه أن يحفر الثلج بخوافره ويذل في سبيل ذلك جهداً مضيئاً ، قبل أن يعثر على ورقة عشب واحدة ، وأصابته قشرة الثلج بجروح في قدميه ، ويخشى أن تكسر القشرة ساقه مثل ما حدث مع جوبو ، حقاً إن جوبو ليس من النوع الذي يحتمل الآلام والمشاق ، وكان مصدر تعب ومشكلات لأمه .

وفي هذا الفصل يجتمع شمل الغزال ، ويسير قطعاناً وأسراراً وتوثق بينهم علاقة الصداقة ، وهكذا اعتادت الخالة « عينا » أن تحضر ومعها طفلها ، وانضمت إلى الفريق مارينا وهي غزالة شابة ، أما العجوز « نيتلا » فلم تكن تفارقهم ، وهي غزالة

عنه ، وهى دائما قصص مروعة كلها دم وعذاب وألم ، لا يملون سماع أى شىء عنه ، وإن كانت بعض القصص من نسج الخيال ، إذ يضيف الخوف والخيال إليها الكثير ، ويحكون عنه حكايات وأقوال وأمثلة توارثوها عن الآباء والأجداد ، وتكشف كل هذه القصص عن محاولات لا شعورية لتلمس سبيل يهديهم إلى اكتشاف هذه القوة الجبارة المجهولة ، أو سبيل للهرب .

وسأل كاروس الشاب : « وما هو الفرق أن يكون بعيداً أو قريباً طالما أنه يقتلك مهما كانت المسافة ؟ » .

وقالت العجوز نيتلا ساخرة « أسأل غرابك الذكي لعله يفسر ذلك لك » .

وقال كاروس وعلى وجهه ابتسامة : « لم يقل لي شيئاً عن هذا » .

وقال رونو : « إنه يسقط الغربان من فوق الشجر أيضا إذا أراد » .

وأضافت الخالة عينا : « ويصطاد الدجاج أيضا » .

وقالت أم «بامي»: «حكى لى أمى أنه أحياناً يسط ذراعيه
يحاول الإمساك بنا» .

وسألت العجوز نيتلا : « هل هذا صحيح ؟ إذن ما هذه الفرقة التي تحدث وتصمم الآذان »

قالت أم «بامبي» موضحة : « ذلك عندما يحرك يديه بسرعة .

الفصل التاسع

ومضى الشتاء ثقيلاً ، يشيع بعض الدفء أحياناً ، ولكن سرعان ما يسقط الثلج ثانية ويغطي الأرض طبقات فوق طبقات ، ويستحيل كشطه أو الحفر فيه ، ويصبح الوضع أشد سوءاً إذا ما ذاب الثلج نهاراً ثم تجمد الماء ثانية ليلاً ، إذ تغطي السطح حيثذ قشرة من الثلج رقيقة زلقة ، وكثيراً ما تتكسر إلى شظايا حادة قد تصيب قدم غزالة فتدميها ، وتساقط الثلج كثيفاً طوال عدة أيام مضت . وأصبح الهواء الآن أكثر صفاءً مفعماً حيوية ونشاطاً . وبدأ يطن وكأن طينته لحن عال رقيق ولكن تحس معه بالبرد .

وساد السكون في الغابة ، وإن لم يخل يوم من وقوع حدث مروع ، ففي ذات يوم انقضت الغربان على أرنب وليد هو ابن الأرنب صديق بامبي ، وكان الأرنب الطفل راقداً مريضاً ، وقتلته الغربان قتلة شنعاء . وتردد أئينه المومع فترة طويلة ، ولم يكن الأرنب الأب في بيته ، وحينما بلغه النبأ الحزين كاد الحزن يقتله . وذات مرة أبصر بامبي السنجاب يعدو وكأنه يسابق الريح بينما جرح كبير حول رقبتة يتزف دمًا من أثر الفخ حين أطبق عليه ،

وتضرب الهواء بجناحيها ، ولمع ريشها بألونه الزاهية مع ضوء الشمس ، وامتد ذيلها الطويل فى خيلاء خلفها ، وانطلق صوت فرقعة كالرعد ، والتفت الدجاجة حول نفسها ، وانقلبت فى الهواء ، رأسها مكان ذيلها كأنما تريد أن تمسك قدميها بمنقارها ، ثم سقطت بعنف على الأرض ، سقطت وسط غيرها من القتلى ولم تحرك ثانية .

وفقد الجميع صوابهم ، اندفعوا نحو بعضهم البعض ، وحلقت في الهواء خمس أو ست دجاجات دفعة واحدة ، وصاحت الدجاجات التي احتمت بالأرض : « حذار .. حذار لا تطيروا » .. وجروا بعيداً مذعورين ، وشمقت الهواء أصوات فرقة خمس أو ست مرات ، وسقطت معها الطيور المحلقة هائدة على الأرض .

وقالت أم بامبي : تعال ، تلفت بامبي حواليه ، كان رونو وكاروس قد وليا الأديار وهربا ، واختفت المعجوزيتلا عن الأنظار ، لم تبق غير مارينا بجانبهما ، وسار بامبي بجوار أمه ، ومارينا خلفهما ، الضوضاء والصخب فى كل مكان حولهم ، والصراخ يتعال ، وصوت الفرقة يشق الهواء كأنه الرعد ، وظلت أم بامبي على هدوئها ، حقاً إنها ترتجف فى صمت ، ولكنها حرصت على أن تتظاهر أمام ابنها بأنها صابرة صامدة ، وقالت له : بامبي ، يابنى ، كن بجانبى - حذار من أن تبعد سنخرج من هنا ونعبر الساحة ، ولكن علينا أن نسير الآن ببطء وهدوء .

فالين . ابتهج الثلاثة لهذا اللقاء وسألها بامبي : هل رأيت أحداً ؟ أمي ؟ .

أجابت فالين : لا .. حتى أنا لا أعرف أين أمي ؟ .

وقالت العجوز نيتلا فى بهجة ومرور : حسن .. بعد أن كنت سعيدة مرتاحة البال لا أشغل نفسى برعاية أطفال ، ها أنذا الآن أصبح لزاما على أن أرفعى اثنين فى وقت واحد .. يا لحظى السعيد .. وضحك بامبى وفالين ، ودار الحديث عن جوهر ، حكى بامبى كيف قابله ، وشعروا بالحزن لحاله ، ولكن العجوز نيتلا قطعت الحديث قائلة : « يجب علينا قبل كل شيء أن نبحث عن شيء نأكله . لم أسمع فى حياتى عن شيء كهذا .. أظنكما لم تأكلا شيئا طول اليوم » .

قادتھما إلى الأماكن التي يمكن العثور فيها على بعض أوراق
الشجر الخضراء ، وكانت العجوز نيتلا رقيقة معهما . لم تأكل هي
بل حرصت على أن يجد باسبي وفالين حاجتهما من الطعام أولا ،
كانت تحفر الثلج بحافرها لتكشف عن بعض العشب وتناديهما ليأكلا
وتقول : « هيا .. هنا عشب طيب ، وقد تقول لهما : لا ، انتظرا
سنجد طعاما أفضل في مكان آخر » . ولكنها بين الحين والحين
تهمهم متذمرة « يا للسخرية .. عدت أرعى الأطفال واشقى بهم
ثانية » ، وفجأة أبصروا الخالة عينا فاندفعوا نحوها .

صاح بامبي : خالتي عينا - كان هو أول من رآها ، وأحسّت فالين بفرحة طاغية ، لم تتمالك نفسها من شدة السرور وأخذت تثب حول أمها وتقول « أمي .. أمي .. » ولكن عينا كانت تبكي ويكاد الإرهاق يقتلها ، وصاحت : « اختفى جوبو .. بحثت عنه .. ذهبت إلى المكان الذي تركته فيه حين وقع فوق الثلج .. ولكنني لم أجده .. آه .. حبيبي جوبو المسكين » .

مهمت العجوز نيلا وقالت : لو أنك اقتفيت أثره لكان هذا أفضل من البكاء .

قالت الخالة عينا : لم أَعثر له على أثر .. لم أجد غير آثاره هو ..
 الشيخ . لقد اختطف جُوبو . ولأدت بالصمت . وسألها بامبي في
 أسي : « خالتي عينا .. هل رأيت أمي ؟ » .

أجابت الخالة في رقة وهدوء : لا ، ولم ير بامبي أمه ثانية .

آثار جهوده ومحاولاته ، وسمع صوتاً يفيض بهجة ، بالقرب منه يقول له : آه ... حسن .. لقد كبرت وأصبحت شاباً يافعاً .

تلقت بامبى حويله ، كان السنجاب يراقبه مسروراً به . وسمع على البعد ضحكة قصيرة حادة : « ها ها ها » .

أحس بامبى والسنجاب ببعض الخوف . ولكن طائر نقار الخشب نادى من فوق شجرة البلوط وقال : معذرة ... ولكنى اعتدت أن أضحك كلما رأيت غزالاً يفعل ذلك .

وسأله بامبى فى أدب : « وما الذى يضحك فى هذا ؟ » قال نقار الخشب : أوه ... إنكم تسيرون فى الاتجاه الخاطئ . ينبغي عليك أن تبدأ محاولاتك أول الأمر مع الأشجار الكبيرة ، ذلك لأنك لن تجد شيئاً فوق أغصان الأشجار الصغيرة .

وسأله بامبى : وما هو الطعام الذى سأجده عليها ؟ .

ضحك نقار الخشب وهو يقول : « البق والديدان الصغيرة ... انظر ... افعل مثلما أفعل أنا .. هكذا » وأخذ ينقر جذع شجرة البلوط .. تاك .. تاك .. اندفع السنجاب نحوه واعتلى الشجرة وبدأ يوثبه ويعنفه وقال له : « إن الأمير لا يبحث عن بق وديدان » . وتساءل نقار الخشب : ولم لا ؟ ... إن طعامها لذيق ، وابتلع دودة صغيرة وعاد ينقر جذع الشجرة بدقاته الإيقاعية .

وقال السنجاب : « أنت لا تفهمنى .. إن شخصية عظيمة مثل هذا الأمير لها أهداف أسمى وأرفع ، إنك تعبر عن نفسك أنت بحديثك هذا » ..

أجاب نقار الخشب : « الأمر عندي سواء » .

وضحك ثم رفر ف بجناحيه وطار .

وهبط السنجاب إلى الأرض وذهب إلى بامبي وسأله وهو
يتسم : هل تذكرني ؟ .

أجاب بامي وفي صوته مودة : حسن جدًا ... أذكرك جيدًا ،
وأشار بامي برأسه ناحية شجرة البلوط وسأله : هل تعيش هناك ؟ .

قال السنجاب : أنت تخلط بيني وبين جدتي - لقد اعتادت جدتي أن تسكن هناك وأنت لاتزال طفلاً صغيراً - أيها الأمير بامبي ، كانت تحكي لي عنك كثيراً ، ولكن ابن عرس افترسها وقتلها منذ زمن طويل ، لعلك تذكر هذا الحادث .

أوماً بامبي وقال : نعم ... سمعت عنه .

واستطر السنجاب قائلا : وبعد ذلك استقر أيى هنا ... واعتدل السنجاب فى جلسته ، وضم ساقيه الأماميتين إلى صدره فى أدب جم وواصل حديثه : « لعلك تخطط بينى وبين أيى أيضًا . هل تعرف أيى ؟ » .

أجاب باميبي : آسف .. لم يحدث لي الشرف بمعرفته . قال :
السنجاب وقد أحس بالارتياح : ظننت ذلك - كان أي فظا
وخجولا .

رأيتك عن بعد عدة مرات خلال الصيف الماضى وحين رأيتك اليوم
لم أصدق نفسى .

لاذ بامبى بالصمت فجأة ... ثم قال : وداعًا ... يجب أن
أنصرف الآن ، وجرى بعيدًا .

لم يكن يحب أن يذكره أحد بالصيف الماضى ، لقد عاش فترة
عصية منذ ذلك الوقت ، أول شيء أنه أحس بالضياح بعد أن
اختفت أمه ، وشعر بالشتاء طويلا لا ينتهى ، وأقبل الربيع على
خجل متردداً ، فمضى وقت طويل قبل أن تسود الخضرة ولولا
العجوز نيتلا لما استطاع بامبى أن يواجه ظروف الحياة ، ولكنها
رعته ، وساعدته كلما استطاعت ، وعلى الرغم من ذلك فقد عاش
وحيدا أياما كثيرة .

شعر بوحشة من أجل جوبو . اعتاد أن يتذكره عند كل منعطف ،
آه جوبو المسكين لا بد وأنه مات هو الآخر مع كثيرين غيره ،
تذكره بامبى كثيراً خلال هذا الشتاء وبدأ لأول مرة يدرك كم كان
جوبو أنيساً وديعاً ، ونادراً ما كان يرى فالين ، اعتادت أن تبقى
مع أمها أكثر الأوقات ، وأصبحت خجولة أكثر من المؤلف .

وبعد أن ازداد الدفء أحس بامبى بفتوته ، بدأ يزهو بقرنيه ،
يسير رافعاً رأسه مختالاً فخوراً ، ولكن صادفته أحداث أثارت فى
نفسه اليأس والألم ، كانت ذكور الغزلان تطارده حينما رآته ، تدفعه

بعيداً في غضب ، وكلما اقترب منها طارده حتى أصبح يخاف من أن يخطو خطوة واحدة كلما رآها خشية أن تقتك به ، وآثر الانزواء والانطواء .

وفى أيام الصيف استبد به قلق شديد ، تملكته رغبة شديدة عامرة فيها مزيج من اللذة والألم ، كلما أبصر فالين أو إحدى صديقاتها ، ولو على البعد ، أحس بمشاعر غريبة لا يفهم حقيقتها تسرى فى عروقه قوية دافئة ، وكثيراً ما كان يعرف آثار أقدامها ، أو يستدل عليها من رائحة الهواء حين يتشممه ويدرك أنها قريبة من هذا المكان ، وهنا يشعر بقوة لا تقاوم تدفعه إلى الاقتراب منها ، وإذا استسلم لرغباته أصابه حزن وأسى ، ذلك لأنه قد لا يقابل أحداً ولا يجد بغيته ، وبعد أن يطيل البحث والتجوال ، ينتابه شعور بأنها لا تريد لقاءه ، ويحدث أحياناً وهو فى غمرة البحث عنها وعن صاحباتها أن تعترضه جماعة من ذكور الغزلان تسد عليه الطريق وتطارده وتضربه ، وعامله صديقه رونو وكاروس أسوأ معاملة ، لم تكن أياماً سعيدة .

ولكن السنجاب يعود بغائه ليذكره بهذه الأيام ، وفجأة أحس
بثورة وهياج وبدأ يعدو ، كانت العصافير والطيور تطلق فرجة تخوم
بعيداً عنه كلما مر بها وتتساءل : « ماذا جرى » .

لم يسمع باميبي سؤالها ، ورأته بعض الغريان وسألته : « إيه .. ماذا حدث ؟ وسأله طائر العقق : « ماذا أصابك ؟ ولكن باميبي لم يلتفت إليهما .. وغنى طائر فوق الشجرة : « صباح الخير ..

أوراق الشجر والعشب الأخضر الندي تحت حوافره ، وأحس بامبي بمنفوان قوة الشاب تسرى في عروقه .

ذهب إلى شجرة على حافة غدير ، وشب نحوها ، ثم ضرب الأرض بحوافره وتطاييره الثرى ، قشر بحافره سطح التربة ثم كشط بقايا الأوراق والعشب حتى ظهر أديم الأرض . وتردد من حوله صدى صورة ضربات حافره .

ولكن ضاق بهذا الصوت زوج من حيوان الخلد كنا يقرضان بعض جذور الشجر تحت شجرة جميز كبيرة ، توقفا عن الطعام وتفتتا ناحية الصوت فرأيا بامبي . قال أحدهما لرفيقه : أنه يفعل أشياء غريبة تثير الضحك والسخرية ... من رأى في حياته كائناً يحفر الأرض بهذه الطريقة ؟ ، ونظر الآخر في دهشة واستغراب واستنكار ثم قال : « أنه جاهل لا يعرف شيئاً . إنه مثل البشر حين يتطفلون ويقحمون أنفسهم في أمور يجهلونها » .

فجأة رفع بامبي رأسه وتصنت ، ثم أمعن النظر بين أوراق
الشجر ، أبصر شيئاً الوميض الأحمر يلمع بين الأغصان ، وإنها أطراف
قرون ، مأماً بامبي بصوت فيه غضب وضيق ، ثم قال في نفسه :
ليكن ما يكون هذا القادم ، الذى يدور حولى ، سواء أكان كاروس
أو غيره فلم أهتم ولمن أعبأ به ، تقدم يا بامبي وأقبل التحدى ..
سأريهم أننى لا أخافهم .. سأعلمهم أن من الأفضل أن يعدوا عن
طريقي .

احتدمت ثورة التحدى فى عروقه ، وتحول التحدى إلى غضب ، والغضب قوة وعنفوان ، حفت معه الأغصان وتكسرت الشجيرات تحت قوة وقع حوافره ، وودد بامبى نفسه واقفاً قبالة ذكر الغزال الآخر ، لم يعرفه ، فقد كان كل ما حوله يدور أمام عينيه ، ولم يعد يفكر فى شىء غير تلك القوة الخفية التى تدفعه إلى التحدى والتقدم ، مال بقرنيه واندفع بقوة إلى الأمام ، تجمعت كل قوته فى كفيه ، وتهيأ للصدمة ، وشم رائحة مخبأ خصمه ، ولكنه لم ير شيئاً أمامه غير ردفه الحمراءين ، واستدار ذكر الغزال الآخر قليلاً ، ولما لم يواجه بامبى المقاومة العنيدة العيفة التى توقعها ، قفز أمامه فى الهواء ، وهكذا اندفع بامبى فى الفراغ دون أن يصطدم بخصمه ، وكاد أن يقع ، ترنخ قليلاً ، ثم تماسك وتهيأ لقفزة أخرى ، واستدار ولكنه عرف ذكر الغزال العجوز .

كاد الدهول يصعق بامبي ، تمنى لو ابتلعتة الأرض أو اختفى ،
أو جرى هاربا ، ولكنه أحس بالخجل من أن يجري ، وأحس
بالخجل أيضا من أن يبقى واقفا أمامه ، وهكذا جمد في مكانه
ولم يتحرك .

وقال ذكر الغزال العجوز بصوت هادئ وقور : « حسن » ،
وكان صوته واضعًا صريحًا ، وآمرًا قويًا حتى أنه نفذ مباشرة إلى
قلب بامبي الذي وقف صامتًا .

أعداد ذكر الغزال العجوز كلمته : « حسن » .

9.

الفصل الحادى عشر

انتصف الصيف ، وارتفعت حرارة الجو الخانقة ، وعاودت بامبى نفس مشاعر الشوق والحنين ، ولكنها هذه المرة أشد وأقوى ، إنها تغلى فى دمه وتزيده قلقاً واضطراباً وجموحاً ، وهام على وجهه بعيداً .

قابل فالين ذات يوم ، كان اللقاء مصادفة غير متوقعة ، التقى بها وهو مشوش الفكر قلقاً ، مضطرب الحواس بسبب تلك الرغبة الجامحة التى تشور فى دمه حتى أنه لم يتعرف عليها أول الأمر ، وقفت قبالة ، وأخذ بامبى يحملق فيها فترة صامتاً . ثم قال كأنما انحل عنه السحر الذى عقد لسانه ، وفتنه جمال صديقه : أه ... ما أجملك يا فالين بعد أن كبرت !! .

وأجابت فالين : هل عرفتني ؟ .

وصاح بامبى فى دهشة : وكيف لا أعرفك ، وقد نشأنا وكبرنا معاً ؟ .

تنهدت فالين ثم قالت : مضى زمن طويل منذ آخر لقاء بيننا ثم أردفت قائلة بنبرة مزاح خليع : ولكن الناس ينسون بعضهم حين يكبرون ، وبقيا معاً .

وقال بامبي بعد فترة صمت : اعتدت أن أمشي في هذا الطريق مع أمي وأنا طفل .

وقالت فالين : « إنه يصل إلى المرح » .

وقال بامبي بصوت فيه رنة وقار : رأيتك أول مرة في المرج ...
هل تذكرين أول لقاء لنا ؟ .

أجابته فالين : نعم ... وكان معي جوبو .. وتنهدت ثم
 قالت : آه ... جوبو المسكين ...
 وردد بامبي كلماتها : « جوبو المسكين » .

ثم بدءا يتحدثان معا عن أيام زمان ، وكل منهما يقول للآخر « هل تذكر ؟ » وما دار بينهما ، وأحس كل منهما بسعادة هذه المشاركة .

ومألفها بامبى وهو يستعيد ذكريات الماضى معها : « هل تذكرين يوم أن كنا نلعب معاً لعبة الاستغماية أو العروس والعريس فى المرح ؟ » .

أجابته فالين : آه ... كنا نجرى هكذا - وانطلقت فالين كالسهم ، تراجع بامبي خطوة إلى الوراء مذهولا أول الأمر ، ثم اندفع وراءها يلاحقها ويصبح فرحاً مسروراً . « انتظري ... انتظري » . وتعمدت فالين إغاضته وإثارته . « لا أستطيع الانتظار .. إننى فى عجلة » .. وأخذت تحاوره ، وتقفز فى رشاقة ، وتجري فى دائرة حوله فوق العشب وبين الأشجار ، وأخيراً أمسك بها

بامبي بعد أن سد عليها الطرق وحاصرها ، وقفاً جنباً إلى جنب صامتين بعد أن أغرقا فترة في الضحك ، وفجأة قفزت فالين في الهواء كأن أحداً قد نخسها أو ضربها ، وعاودت الرثب من جديد ، واندفع بامبي خلفها ، وأخذت تسابقه وتحاوره ، تغريه حيناً بالاقتراب ثم تفلت منه .

وصاح بامبي لاهثاً : كفى .. كفى ... أريد أن أسألك سؤالاً ،
توقفت فالين . واستفسرت منه في فضول : وما هو السؤال
يا بامبي ؟ .

وقف بامبی صامتاً .. قالت فالین : « إذا أنت تخدعني ،
واستدارت لتجری من جدید » .

ولكن بامبي قال على الفور : لا .. لا .. قفى .. قفى ..
أردت ... أردت أن أسألك .. هل تحبيننى يا فالين ؟
نظرت إليه فى فضول وخجل ، ثم قالت : لم أسأل نفسى هذا
السؤال .. ولهذا لا أعرف .

أُحِبُّ بَابِي وَقَالَ : لَا ... لَا أَبَدَ وَأَنْتَ تَعْرِفِينَ ، أَنَا أَعْرِفُ أَتُنِي أَحِبُّكَ . أَحِبُّكَ بَعْنُونَ يَا فُلِينَ ، صَارَحْنِي هَلْ تَحْبِبْتَنِي أَمْ لَا ؟ .
تَظَاهَرَتْ بِالْخَجَلِ وَقَالَتْ : رُبَّمَا .

وسألتها بامبي في وله وانفعال : هل ستبقين معي ؟

قالت فالين وهي تخفي معادتها : إذا طلبت مني ذلك .

لم يدر بامبي إلا وكاروس ملقى على العشب . نهض فى لمح
البصر كأنه البرق ، ولكن لم يكذب يقف على سيقانه حتى عاجله
بامبي بهجمة شرسة جعلته يترنح ثم يسقط على الأرض ثانية .

صاح كاروس : بامبي .. بام ..

وقبل أن يكمل نداءه عاجله بهجمة ثالثة أخرسته من شدة
الألم .

واندفع بامبي نحوه للمرة الرابعة وحاول كاروس أن يقفز أو يميل
على إحدى جانبيه ليتحاشى الصدمة ، وفجأة أحس بضعف شديد ،
وأدرك فى نفس الوقت أنها معركة حياة أو موت ، استبد به هلع
شديد . حاول الهرب وأن يفلت بجلده من أمام بامبي الثائر الغاضب
المحتاج وقد تهيأ لهجمة جديدة ، أحس أن بامبي عاقد العزم على
قتله والفتك به دون رحمة ، استجمع كل ما تبقى فى جسده من
قوة وفر هارباً بين الأشجار ، كان الأمل الوحيد هو أن يهرب
ويختفى عن عيني بامبي .

كف بامبي عن مطاردته ، لم يلحظ كاروس ذلك من شدة
الخوف ، وظل يجرى دون توقف بين الأشجار ، توقف بامبي عن
مطاردته لأنه سمع صوت فالين تناديه وتتوسل . أحس أنها خائفة
وأن خطراً يتهدد بها ، استدار بامبي واندفع ناحية الصوت وحين
وصل إلى المرج أبصر رونو يلاحق فالين التى هربت منه وتوارت
بين الأحراش .

صاح بامبى : « رونو » ، ولكن رونو الذى لا يستطيع العدو بسرعة بسبب قدمه العرجاء توقف وظل جامداً فى مكانه . ثم قال فى ازدياء : « أوه ... أنه صغيرنا بامبى .. هل تريد منى شيئاً ؟ هل لك حاجة أقضيها لك .. » .

قال بامبى فى هدوء وبصوت يحاول أن يخفى غضبه وثورته : نعم أريد شيئاً ... أريد منك أن تدع فالين وشأنها وابتعد عنها الآن فوراً .

قال رونو باستهزاء : هل هذا كل ما تريده ؟ لقد أصبحت غداً وقحاً ، لم أكن أتصور هذا ..

عاد بامبى يقول فى هدوء وهو يحاول التحكم فى أعصابه : رونو ... إن هذا لمصلحتك ولأجل خاطرك . إذا لم تبتعد الآن ستندم بعد ذلك ، ولكن لن ينفعك الندم حين تكون عاجزاً عن الهرب .. صاح رونو فى غضب : هل وصلت بك القحّة إلى هذا الحد ؟ هل تجرؤ على التحدث إلى بهذا الأسلوب ؟ أظنك تقول ذلك لأننى أعرج . لا .. إن أكثر الناس لم تلاحظ هذا .

أو ربما تظن أننى أخافك بعد ما حدث بينك وبين العجبان كاروس ، إننى أحذرك » .

قاطعته بامبى قال : لا يا رونو . اذهب ... ابتعد » وارتجف صوته ثم قال : « كنت أحبك دائماً يا رونو ، اعتدت أن أحترمك وأظن بك الذكاء والحكمة لأنك أكبر منى ، إننى أقول لك مرة

واحدة وأخيرة .. اذهب . لم يعد عندي صبر ولن أحتمل أكثر من ذلك .

قال رونو ساخرًا : مسكين أن أراك ضيق الصدر لا تقوى على الاحتمال والصبر .. مسكين أنت يا بنى .. ولكن لا تشغل بالك فسوف أعفيك من هذا كله سريعًا ، لن تحتاج إلى الانتظار طويلًا ، لعلك نسيت كيف كنت أطارذك وتهرب منى .

حين تذكر بامبى ذلك لم يجد عنده كلام يقوله ، لم تعد هناك قوة قادرة على أن تكبحه أو ترده ، اندفع كالوحش الكاسر نحو رونو الذى أحنى رأسه ، وتلاحما وكان لتلاحمهما صوت وجلبة ، وثبت رونو فى مكانه ، وقد عقدت الدهشة لسانه إذ رأى بامبى يقف جامدًا أمامه لم يتراجع ، أحس بدوار إثر الهجمة المفاجئة ، فلم يكن يتوقع أن يهاجمه بامبى ، وشعر بقوة بامبى العملاقة ورأى أن من الأصوب له أن يتمالك نفسه ولا يتهور .

حاول أن يخدعه ويوقع به فى مكيدة بينما كانا واقفين رأسيهما متقابلين متلاحمين كل منهما يضغط بكل ثقله ضد الآخر ، هنا تراجع رونو فجأة فاختل توازن بامبى واندفع بثقله إلى الأمام وكاد أن ينكفى .

تحامل بامبى على ساقيه الخلفيتين وتماسك ، ثم ألقى بنفسه بقوة وشراسة مندفعًا بثورة غضبه العارمة ضد رونو ، قبل أن يستعد رونو لملاقاته ، وانكسرت إحدى شوكات قونى رونو ورن صوت

الفصل الثانى عشر

ذات يوم ذهب بامبى وفالين معاً إلى وسط الغابة يبحثان عن
الفسحة الصغيرة التى قابل فيها بامبى ذكر الغزال العجوز ، حكى
بامبى لفالين كل ما دار بينه وبين ذكر الغزال العجوز ، وأحسن فى
نفسه نشوة وحماساً ، وقال : « ربما نلتقى ثانية ... أود أن أراه » .
وقالت فالين بصوت فيه جرأة وشجاعة : ليتنا نراه . أمنيى أن
أتحدث إليه - ولكنها لم تكن صادقة فى حديثها ، إذ على الرغم من
فضولها ورغبتها فى التحدث إلى ذكر الغزال العجوز إلا أنها تخشاه .
مالت الشمس نحو المغرب ، واقترب الفسق الذى صبغ الجو
بلون رمادى ، وساراً معاً جنباً إلى جنب ، تداعبهما أوراق الأشجار
التي تترافق على أغصانها ، ويريا من خلالها الطريق واضحاً ، سمعا
خفيفاً بين الأوراق قريباً منهما ، توقفا ونظرا ناحية الصوت ، أبصرا
ذكر الغزال يمشى فى بطاء وقوة وخيلاء بين الأشجار قاصداً
الفسحة الصغيرة وسط الغابة ، بدا فى عتمة الفسق كأنه شبح
رمادى عملاق .

صرخت فالين على الرغم منها ، أمسك بها بامبى وهدأ من

الفضاء أمامه على البعد ، أحس بامبى بأن الطريقة التى حذق بها ذكر الغزال فى الفضاء فيها إغفال وإهمال له ، كأنما لم تقع عينيه عليه ، وليس له وجود ، وكذلك فإن نظرتة إليه فيها تعال وخيلاء . لم يدر بامبى ماذا يفعل ، لقد جاء بعد أن عقد العزم على التحدث إلى ذكر الغزال العجوز ، ولابد وأن يفعل ما يريد تدبير أمره وقال فى نفسه سأبدؤه بالقول : « طاب يومك ، أنا بامبى ، هل لى أن أحظى بشرف معرفة اسمكم ؟ .

ظن الأمر سهلاً فى البداية ، ولكنه الآن يراه ليس بنفس القدر من السهولة واليسر ، ما فائدة النوايا الطيبة الآن ؟ إن بامبى حريص على أن يبدو دمثاً وديعاً حسن الخلق والتربية ، ولهذا ليس من اللائق أن يمضى دون أن يلقي التحية أو يتحدث إليه بكلمة ، وهو لا يريد أن يبدو وقحاً ، ويخشى أن يكون كذلك إذا ما بدأ الحديث .

بدأ ذكر الغزال العجوز مهيباً ذا بأس وجلال ، وابتهج بامبى لخيالاته وعظمته وأحس بالتواضع أمامه ، حاول عبثاً أن يستثير شجاعته وظل يسأل نفسه ، « لماذا أخافه ؟ » أألمت مثله ؟ » ولكن دون جدوى . ظل الخوف يلزمه ويشعر فى أعماق نفسه أنه ليس نداً له ، بل هناك فارق هائل يفصل بينهما ، أحس بالضالة والأسى وحاول جاهداً أن يستجمع قواه وشجاعته ليظل ثابتاً ولا يتراجع عن عزمه .

التفت إليه ذكر الغزال العجوز وقال فى نفسه : « إنه أتيق

ولكن بامبى لا يشغله شىء الآن غير الحب ، إن ذكر الغزال العجوز لا يعنيه كثيراً فى هذه اللحظة ، يمكن أن يلتقى به فى أى وقت آخر فى مكان ما ، ليس لديه وقت ليضيعه الآن مع ذكور الغزال الكبيرة . مهما كان جلالها وكبرياؤها ، إنه لا يفكر إلا فى فالين وجدها ، حيا ذكر الغزال العجوز على عجل وحاول أن يمضى سريعاً فى طريقه ، ولكن سأله ذكر الغزال العجوز فى شوق ولهفة : إلى أين ؟ .

شعر بامبى ببعض الحرج ، وفكر فى طريقة للتملص منه ، ولكنه غير رأيه وأجاب فى صراحة وصدق : إليها . وقال ذكر الغزال العجوز : لا تذهب ..

ومضت شرارة غضب للحظة فى نفس بامبى ، وتساءل فى نفسه : « لا تذهب إلى فالين ؟ كيف يطلب منى ذلك وبأى حق ؟ سأتركه وأجرى » .. سرح بامبى بفكره قليلا وتدير أمره ، ورمى ذكر الغزال العجوز بنظرة ، التقت نظرتيه بعينى ذكر الغزال ترمقانه بنظرات عميقة جعلته يقف جامداً فى مكانه ، وأحس فى داخله بالقلق والضيق ولكنه لم يجر .

قال موضحاً بصوت فيه رنة رجاء : إنها تنادىنى ... لا داعى للحديث الآن .

وقال ذكر الغزال العجوز : لا ... إنها لا تنادى .

عاد النداء من جديد كأنه زقزقة عصفور : « تعال » .

سرى خوف بارد فى جسد بامبى وسيطرت عليه فكرة الهرب ،
وأحس ذكر الغزال العجوز بما يدور فى رأسه ، قال له بسرعة
وبصوت آمر قاطع كأنما يريد أن يشجعه « أثبت مكانك » ،
وتمالك بامبى نفسه بجهد كبير .

تطلع إلى بامبى ، وظن بامبى أنه ينظر إليه بشئ من الاحتقار ،
لحظ هذا على الرغم من الحالة التى يعانى منها ، ولكن تحولت نظرة
ذكر الغزال العجوز إلى نظرة جادة عطوفة .

حاول بامبى أن يمعن النظر إلى حيث يقف الشبح ، أخذت
عيناه ترفان كأنه لا يحتمل البقاء فى مكانه أكثر من ذلك فى مكان
واحد معه ، وكأنما قرأ ذكر الغزال العجوز أفكاره فهمس له « هيا
نعود » ، واستدارا عائدين .

انسلا خلسة ، سار ذكر الغزال العجوز فى مسار متعرج دون
أن يفهم بامبى شيئاً لذلك ، ولكنه حرص على اقتفاء أثره على الرغم
منه وهو يكظم قلقه ، اشتد به الحنين إلى قالين ، وسرت فى عروقه
حمية تدفعه إلى الثغاء والهرب .

ولكن ذكر الغزال العجوز كان يسير على مهل فى حذر ،
ويتوقف بين الحين والحين يتصنت حوله ، قد يغير مساره ويختار
طريقاً متعرجاً آخر ، ثم يتوقف من حديد ليعود المسير ببطء شديد .

ابتعدا عن مكان الخطر ، وقال بامبى فى نفسه : لو توقف ثانية
فسوف أضطر إلى أن أنهى صحبته وأكتفى بذلك وأشكره ، ولكن

وعندما قلت كثافة الأشجار توقفا عن المسير وأمعنا النظر حولهما ، رأيا شيئاً أحمر يتحرك بالقرب من شجرة البلوط ، حدقا معاً فيه .

قالت فالين : « لعله رونو أو كاروس » .

لم يصدق باميبي ، وقال وهو يتفرس في ذلك القادم الغريب :
« لا ، إنهما لا يجروا على الاقتراب من مكان أكون فيه ، وصمت
لحظة ثم قال بصوت قاطع : لا ... إنه ليس كاروس ولا رونو ،
إنه وافد غريب .

وافقت غالين على استنتاجه ولكنها شعرت بدهشة وقلق لمعرفة

حقيقة هذا الوافد ، وقالت « نعم إنه غريب ، أراه الآن بوضوح .
عجبا » ، وأخذوا يرقبانه .

وقالت فالين في دهشة : « إنه ينصرف بدون أكرات كأنه لا يعبا بشيء » .

وقال بامبي : « غبي ... غبي حقا .. يتصرف كطفل غر ...
كأن المكان آمن لا خطر فيه .

وقالت فالين : هيا بنا لنقترب قليلا ، فقد استبد بها الفضول .
أجاب بامي موافقا : « وهو كذلك .. هيا بنا .. أريد أن أراه
بصورة أوضح » .

سارا بضع خطوات ثم توقفت فالين ، نظرت إلى بابي تسأله :
« هب أنه يريد مقاتلتك ... ماذا أنت فاعل ؟ إني أراه قويا
شديد البأس . رفع بابي رأسه في شموخ ونظر في ازدراء وسخرية
وقال : « ياه ، انظري إلى قرنيه الصغيرين ، هل أخاف هذين
القرنين ؟ إنه سمين مترهل الجسم ولكن هل معنى ذلك أنه قوى ؟
لا أظن ذلك ، هيا لنمضي في طريقنا إليه ، وسارا يخطوان معا
إلى الأمام .

كان الوافد الغريب مشغولا في التقاط وقضم بعض الأعشاب ، ولم يلحظهما إلا بعد أن اقتربا منه ، جرى نحوهما لملاقتهما ، وثب بضع وثبات مرحة كأنه طفل يلهو ، توقف بامبي وفالين في دهشة وانتظراه ، وحينما أصبح على بعد خطوات معدودة منهما ثبت في

مكانه هو الآخر وبعد فترة صمت سألهما : « هل لا تعرفاني ؟ خفض بامبي رأسه استعدادا للنزال وقال في تحد واستنكار : « هل تعرفنا ؟ » . قاطعه الغريب وصاح صيحة فيها ثقة وتأييب : بامبي .

جفل بامبي وتراجع خائفاً حين سمع اسمه ، أهاج الصوت ذكرى قديمة دفينه في قلبه ، واندفعت فالين صوب الغريب ، صاحبت وقد انعقد لسانها فلم تنطق : جوبو ، ووقفت في مكانها بغير حراك وقد احتبست أنفاسها من هول المفاجأة .

وقال جوبو بصوت رقيق حنون : فالين ... فالين ... أختي ... لقد عرفتي ، تقدم نحوها وقبلها والدموع تنحدر من عينيه على وجنتيه ، وانخرطت فالين في بكاء ونشيج وعجزت عن الكلام . قطع بامبي الصمت وقال بصوب مرتعش ، والحيرة تملأ نفسه : حسن ... آه يا جوبو ... إذا أنت لم تمت ؟ .. وبدا متأثراً مذهولاً للغاية .

انفجر جوبو ضاحكا ، وقال « ها أنت تراني حيا لم أمت .. أو أعتقد أنك تراني كذلك بعينيك . سأله بامبي : احك لنا ماذا حدث لك وأنت مغمور في الثلج ؟ قال جوبو وقد بدا عليه التفكير العميق . آه ذلك اليوم ، أنقذني الشبح . سأله فالين في دهشة : وأين كنت كل هذا الوقت ؟ .

خيم الصمت عليهم طول الطريق فلم ينطق أحدهم بكلمة ،
أحس بامبى وفالين بمشاعر القلق والحزن التى استبدت بصديقها
جوبو لكى يرى أمه ، ولهذا أثر الصمت ، وسار بامبى بخطوات
سريعة صامتاً ، وتركاه يفعل ما يحلو له .

ولكن إذا حدث وهروا أحياناً فى مشيته أو أسرع على غير
هدى ، أو حاول أن يعبر طريقاً خطأ ، أو حاد عن الطريق الصواب
فإنهما يناديه بصوت رقيق : « اتبع هذا الطريق ، وقد يقول بامبى
أو فالين همساً : لا ، لا ، إنا نتبع هذا الطريق .

ويضطرون فى مرات كثيرة إلى عبور بعض الفسحات ، ولكن
بامبى وفالين لاحظا أن جوبو لم يقف أبداً عند حافة الدغل ، ولم يحاول
أبداً أن يتلفت حوله ويمعن النظر فيما يحيط به إذا ما قادته سيقانه
إلى مكان مفتوح طلق ، وإنما يجرى ويسرع الخطى دون حذى ،
وكلما حدث ذلك تبادل بامبى مع فالين نظرات الدهشة والاستغراب
دون أن يوجها كلمة إلى جوبو ، وإنما يتبعانه دون تردد .

استرجع جوبو مسالك الطفولة ودروبها ، أحس بسعادة غامرة ،
ولم يصدق نفسه أن بامبى وفالين يقودانه ويسيران معه ليدلانه على
الطريق ، وبعد قليل بلغوا فجوة مغطاة بورق الشجر ، صاحت
فالين وهى تنسل إلى داخلها « انظر » . تبعها جوبو ثم توقف ،
إنها الفرجة التى ولدا فيها معاً ، وعاشا فيها معاً فى حضن أمهما
وهما طفلان ، تبادل جوبو وفالين النظرات ، ولكن لم ينطق أحدهما

بكلمة ، واكتفت فالين بأن قبلت أخاها قبله رقيقة حانية ، ثم أسرع ثلاثهم في الطريق .

ساروا قرابة الساعة ، اشتد سطوع الشمس ، ونفذت أشعتها بين الأشجار وغمرت الغابة بنورها ، وخفت الحركة ، وهدأت الغابة ، فهذا هو وقت القيلولة والراحة ، ولكن جوبو لم يشعر بالتعب بعد ، سار في طريقه تدفعه الرغبة المحمومة في لقاء أمه ، لم يكن يأبه لما تطوّه سيقانه ، وحدث أن داس بعض الدجاج ، ففر الدجاج من أمامه وهو يسبه ويلعنه ، ويرفرف بأجنحته ليعتمد عنه . وكان بامبي ينظر في دهشة واستغراب إلى سلوك جوبو وهو يطوف جيئة وذهاباً ، وتوقف جوبو لحظة ، والتفت إليهما وقال في يأس : « إنها غير موجودة » .

هدأت فالين من خاطره ، وقالت له وقد بدا عليها التأثير :
« مستجدها حالا ، حالا يا جوبو » ، وتطلعت إليه ، إنه لا يزال يحتفظ
بنظراته الحزينة التي تعرفها جيدًا عنه ، وسألته وهي تضحك :
« ما رأيك لو تناديه بالطريقة التي اعتدنا عليها ونحن أطفال ؟ » .
نأى بامبي بعيدًا عنهما بضع خطوات ، وحين تراجع إلى الخلف
أبصر الخالة « عينا » ، وكانت قد تهيأت للراحة ووقدت بجوار
شجرة بندق ، قال في نفسه : « أخيرًا هامي » . وفي نفس اللحظة
أقبل جوبو وفالين . وقف ثلاثتهم يتطلعون إلى الخالة « عينا » ،
رفعت رأسها في هدوء ونظرت إليهما بعينين يغالبهما النعاس .

الفصل الخامس عشر

ذهب بامبى يبحث عن أمير الغزال . طوف هنا وهناك الليل بطوله ، ظل يتجول حتى مطلع الفجر وإلى أن أطلت عليه الشمس وهو يطرق مسالك وسبلا جديدة وحده بدون فالين .

إنه يشعر أحيانا بجاذبية شديدة تجاه فالين ، يستبد به الحب أحيانا كأنه لم يحبها بمثل هذه العاطفة المشبوبة من قبل ، ويهوى أحيانا إلى التطوف معها ، يستمع إلى ثرثرتها ، ويرعا سويًا في المرج أو عند طرف من أطراف الأحراش . ولكنها لم تعد تملأ عليه حياته تماما . كان قبل ذلك يشعر أن فالين وحدها تغنيه عن كل شيء ، تنسيه لقاءاته مع أمير الغزال ، ذلك الذكر العجور الذى يهابه الجميع ، وإذا تذكره فإنما يحدث ذلك مصادفة وعرضًا ، ولكنه الآن لا يمل البحث عنه ، ويشعر فى داخله برغبة قوية لا يفهمها تدفعه إلى لقائه ، أما فالين فلم يعد يذكرها إلا حين يهدأ ليرتاح قليلاً من عناء البحث ، إن بإمكانه أن يبقى معها دائماً ملازماً لها لو أراد ، لكنه لم يعد يعبأ كثيراً بالبقاء مع الآخرين ، وأكثر من هذا أنه نداء يتجنب قدر استطاع جوبو أو الحالة عينا .

الكلمات العريضة التى جاءت على لسان ذكر الغزال العجور

قال بامبي في رجاء : « أمتحلفك ... أنت تعرفين كم أحبك وأحترمك ؟ » .

تكررت البومة على نفسها ، وحركت عينيها الواسعتين
الخيشتين على نحو ما تفعل دائما حين يعتدل مزاجها ، وتكون
مسرورة راضية ثم قالت : « إذا أنت تحبني وتحترمني . ولكنني
أسألك لماذا ؟ قل لي أرجوك » .

قال بامبي دون تردد في صدق وصراحة : أحبك لحكمتك ،
وودك الصادق ، ونفسمك الطيبة .. فضلا عن ذكائك وخبتك في
إخافة الناس ، إن إخافة الناس عمل شديد الذكاء للغاية - ليتنى
أستطيع أن أفعل مثلك ، فأفيد من ذلك فائدة كبيرة .

دست البومة متقارها بين ویش صدرها الناعم الغزير ، وقد أحسست بسعادة غامرة ، ثم قالت : « حسن ... أعرف أن ذكر الغزال العجوز يسره أن يراك » .

صاح بامبي وقد كاد قلبه يطفر من شدة الفرح : هل تظنين ذلك حقا ؟ .

أجابت البومة : نعم ، أنا على يقين من ذلك ، يسره حقاً أن يراك ، وأستطيع أن أغامر وأدلك على مكانه الآن .

ضمت ريشها إلى جسمها ثانية وقالت : هل تعرف الحفرة العميقة التي تحيط بها أشجار الصفصاف ؟ .

أوماً بامبي برأسه بمعنى نعم .

سمعوا حفيفاً عاليًا بين الأشجار فى المِرج ، أحنّت مارينا رأسها فوق جوبو ، وهمست فى هياج وسعار : « إنه آت - جوبو ، انهض ، إنه قادم ، ألا تستطيع أن تتحمل على نفسك وتقف لتأتى معى ؟ .

رفع جوبو رأسه ثانية فى ضعف وإعياء وتحركت سيقانه حركات تشنجية ثم سكن تماما ، وتعالى صوت حفيف أوراق الشجر . وخشخششة الأغصان وظهر الشبح يشق طريقه من بين الأشجار .
رأته مارينا عن قرب ، ارتدت فى خفة وهدوء وتوارت خلف أقرب الأشجار ، وأسرعت مندفعة فى اتجاه بامبى وقالين - نظرت خلفها ورأته - الشبح ينحنى ويمسك بالغزال الجريح ، ثم سمعوا صرخة الموت يطلقها جوبو .



الأم دائبة صابرة على تعليم أفرانها أشياء كثيرة ، والصغار تتعلم سريعاً كل ما تلقنها به الأم ، ويحدث أحياناً أن تقاقي إحدى الأمهات محذرة ، وهنا يندفع نحوها صغارها من كل اتجاه ، وقد تنتشر لصغار فوق صفحة الماء تسبح في هدوء وصمت ، ورأى بامبي كيف أن أفران البط التي تعجز عن الطيران تجدف بقدميها ، وتسبح وسط نبات السمار الكثيف دون أن تحرك ساقاً واحدة من سيقان هذا النبات على كثافته ، وتعجب لتلك الأجسام السوداء الصغيرة التي تنزلق في هدوء على صفحة الماء سابحة هنا وهناك بين عيدان البوص ، نستغرقه هذه المشاهد وينسى كل شيء .

وقد يحدث أن تصدر إحدى الأمهات نداء قصيراً ، وإذا بكل السرب يعود إليها في لمح البصر ويحيط بها ، يقف بامبي يتأمل وتتجدد دهشته وإعجابه مع كل مرة ، كان يجد في تلك المشاهد مصدراً دائماً للتسرية والدهشة .

وذات مرة وبينما كان بامبي غارقاً في تأملاته وإعجابه سأل إحدى الأمهات : « ما هذا ؟ لقد كنت أتأملكم وأنظر إليكم عن قرب ولكنني لم أر شيئاً » .

أجابت البطة الأم : لا شيء على الإطلاق .

ومرة أخرى أعطت إحدى صغار البط إشارة وعادت كومضة البرق ، وعيناها تحديق بين عيدان البوص . وخرجت من الماء لتقف على الشاطئ حيث كان بامبي واقفاً .

وأجاب فرخ البط وهو يهز ذيله على نحو ما يفعل الكبار ، ويضم طرفي جناحيه إلى جسمه : « لا شيء ... لم يحدث شيء » .
ثم عاد ليسبح في الماء من جديد .

وعلى الرغم من هذا كان بامبي يثق فى البط ، وانتهى إلى نتيجة محددة ، هى أن البط أكثر منه يقظة ، يرى ويسمع الأشياء على نحو أفضل منه . وأحس بأنه حين يقف يخف كثيراً ذلك التوتر الذى يعانى منه فى داخله . واستهواه التحدث إلى البط ، ذلك لأن البط لا يتحدث هراء مثل الهراء الذى يسمعه من كثيرين غيره ، إنه يتحدث عن السماء الفسيحة التى يحلق فيها ، وعن الرياح والحقول البعيدة التى يقات فيها طعامه المختار .

وقع بصر بامبي بين حين وآخر على شيء يشبه شريطاً نارياً يمرق في الهواء بجانب الجدول ، « سرررى » إنها صيحة الطائر الذى يندفع فى خفة كالسهم كأنه بقعة تنز فى الهواء ، يبدو حين يمتضى كأنه ومضة برق خضراء أو وهج أحمر . أحس بامبي برجفة تسرى فى جسده ، وتمنى لو رأى هذا الغريب البراق عن قرب ، ناداه بامبي .

قالت الدجاجة لبامبي من بين أكوام عيدان القصب « لاتعذب نفسك بالنداء عليه ، إنه لن يرد عليك » .

أمعن بامبي النظر بين عيدان القصب وسأل : أين أنت ؟ .

ضحكت الدجاجة بصوت عال ، جاء صوتها من مكان آخر

غير الذى كانت فيه قبل قليل وقالت : « هأنذا » إن هذا المخلوق
النزق الغريب الذى ناديته الآن لم يتحدث إليك . لا جدوى من
النداء .

قال بامبى : « إنه وسيم جميل الطلعة » .

وقالت الدجاجة تصحح له معلوماته ، وجاء صوتها هذه المرة
أيضاً من مكان ثالث : « ولكنه سئ الطباع » .

سألها بامبى : لماذا تظنيه سئ الطباع ؟ .

أجابت الدجاجة من مكان غير السابق : « إنه لا يعبأ بأحد ،
ولا يعنيه أى شئ ، ليكن ما يكون وليحدث أى شئ ، فإنه لن
يتكلم مع أى مخلوق ولم يشكر أى أحد على حديثه معه . ولا يحذر
أحدًا إذا كان هناك خطر يوشك أن يقع . لم يقل كلمة واحدة فى
حياته لمخلوق » .

قال بامبى : آه مسكين بئس .

واستطردت الدجاجة فى حديثها بصوت يشبه صوت الناي
على البعد : « لعله يظن الناس يحقدون عليه ويحسدونه لهذه البقع
الملونة السخيفة التى تتركش جسمه ولا يريد أحدًا أن ينظر إليه » .
وقال بامبى : هناك مخلوقات أخرى تحرص على ألا تنظر إليها .

قالت الدجاجة بعد أن ابتعدت عن المكان فى ومضة البرق :
على أية حال ليس عندى ما أحسد عليه وابتعدت ، ونزلت الماء
ونادت وهى وسط الماء : « لست أدرى كيف يحتمل البعض البقاء

صمت بامبى ، لم يسمع شيئاً .

صاح به الأمير « تعال ... » ثم أسرع فى طريقه .

تبعه بامبى ، وتوقف الأمير بعد قليل ، وعاد يسأل : « هل لم تسمع شيئاً بعد ؟ » .

سمع بامبى حفيفاً لم يفهمه . كان يشبه صوت خشخشة الأغصان حين تميل وترتفع ثانية عدة مرات ، وسمع شيئاً يدب على الأرض بطريقة غير منتظمة ، أراد بامبى أن يفر هارباً ولكن ذكر الغزال المعجوز صاح به « تعال معى » وجرى فى اتجاه الصوت ، لم يتمالك بامبى نفسه وغامر بسؤاله : أليس فى هذا خطر علينا ؟ .
أجاب الأمير : خطر مهول .

وأبصرا أغصانا تشد وتسحب بقوة من على الأرض ثم يلوح بها فى عنف ، اقتربا أكثر وأكثر ورأيا طريقاً ضيقاً يخترق الأشجار . كان الأرنب الصديق راقداً على الأرض ، ثم رقد ساكناً وعاد يتلوى ، كانت حركاته تجذب الأغصان وتلقى بها فوقه .
لحظ بامبى جبلا طويلا ممتداً يصل ما بين الغصن وبين الأرنب وقد التف حول رقبته .

يبدو أن الأرنب سمع صوتاً يقترب منه . ذلك لأنه قذف نفسه بعنف فى الهواء ، ثم سقط على الأرض ، حاول الهرب ثم تدرج وأخذ يتلوى فوق العشب ويضرب الأرض والهواء بأقدامه .

قال الأمير : اثبت مكانك ، لا تتحرك ، ثم قال بصوت خافت عطوف كان له أثره القوي على نفس بامبي « اهدأ بالا يا صديقنا الأرنب ، لا تخف ، إنه أنا ، اثبت ولا تتحرك الآن » .

رقد الأرنب جامداً بغير حراك ممدداً على الأرض ، وكانت أنفاسه المخنوقة تخشخش في حلقه . عض الأمير على الفصن بأسنانه ثم لواه ، ولف حوله وقد ألق بكل ثقله عليه ، وضغط بحافره عليه وكسره بضربة واحدة من قرنيه .

مال برأسه ليشجع الأرنب وقال له : « اثبت مكانك ولا تتحرك حتى لو أصابك مني بعض الأذى » .

أحنى رأسه ، ووضع طرف قرنيه قرب رقبة الأرنب وضغط بقوة خلف أذنه ، وبدأ الأرنب يتلوى .

تراجع أمير الغزلان إلى الوراء . وقال بلهجة آمرة : اثبت لا تتحرك ، إنها مسألة حياة أو موت بالنسبة لك . وبدأ المحاولة من جديد ، رقد الأرنب ساكناً يلهث ، ووقف بامبي بالقرب منه صامتاً مذهولاً .

استطاع الأرنب أن يتنفس ، عبر عن فزعه وألمه بتهيدة حادة عميقة .

صاح به الأمير منبها ومؤثراً : « اسكت - اسكت » كان فمه قريباً من كف الأرنب وقرناه بين الأذنين الشبيهين بالملقعة وقال

له : ما هذا الغباء ، كيف تصبح الآن ؟ ، هل تريد أن يسمعك الثعلب ليأتى فرحًا بالوليمة ؟ اسكت إذن .

استمر ذكر الغزال المعجوز فى محاولته دون أن يئأس ، وبدل كل جهده وقوته ، وفجأة انقطع حبل الشراك الذى يحيط برقته ، لم يصدق الأرنب أنه عاد حرًا ، خطا خطوتين ثم رقد مذهولاً كأنه يعاني من دوار ، وبدأ يشب يبطء أول الأمر ثم أسرع فى عدوه ، وتابعه بامبى بنظراته ، وصاح به : « هكذا تجرى دون كلمة شكر » .

قال ذكر الغزال المعجوز : « إنه لا يزال خائفًا فرحًا » .

كان حبل الأنشطة ملقى على الأرض . لمسه بامبى برفق ، صدر صوت يشبه الطقطقة ، خاف بامبى . إنه صوت غريب لم يسمع بامبى مثله فى الغابة .

سأل بامبى فى هدوء : هل هذا هو ؟ .

أومأ الأمير برأسه سارا معًا صامتين . قال الأمير « كن حذرًا إذا ما اخترقت أحد دروب الغابة الضيقة ، اختبر أعصان الشجر ، ادفع بها بقرنيك على الجانبين ، وارجع إلى الوراء فورًا إذا سمعت مثل هذه الطقطقة .

غرق بامبى فى تفكير عميق ، وبدأ مهموما . وقال هامسا : « هل الشبح غير موجود هنا ؟ » .

بامبى - قم - انهض ، إنه الأمير العجوز ، كان بجانبه يحاول أن يمس كتفه مساً خفيفاً .

حاول بامبى أن يجيب قائلاً : « لا أستطيع - غير أن الأمير العجوز عاد يناديه : « قم - قم ..

كان صوته مفعماً رقة وحناناً ، مما جعل بامبى يستسلم له صامتاً ، وسكن الألم لحظة ، ثم قال الأمير فى لهفة وقلق : « انهض - يجب أن تبعد عن هذا المكان يابنى - يابنى ، كأن الكلمة أفلتت منه على الرغم منه ، وفى لمح البصر كان بامبى واقفاً .

تنفس ذكر الغزال العجوز بعمق وقال : « حسن - تعال معى الآن ، وكن بجانبى » .

سارا فى هدوء وحذر ، بامبى يتبعه وإن أحس برغبة حارقة فى الرقاد ساكناً لعله يرتاح ، وكأنما فطن الأمير لما يدور فى نفسه فقال له دون أن يتوقف : عليك أن تتحمل أى ألم ، مهما كان قاسياً ، لا تفكر فى الراحة أو الرقاد الآن حتى ولو للحظة واحدة ، واجبك الأول أن تنقذ نفسك ، هل تفهمنى يا بامبى ؟ انقذ نفسك . وإلا ضعت وفقدت نفسك إلى الأبد ، لا تنسى أنا وراءك الشبح - هل تفهم يا بامبى ؟ وسوف يقتلك بغير رحمة ، هيا ، ابق بجانبى .

مستكون على ما يرام الآن ، مستحسن حالته ، وكان بامبى خائر القوى ، عاجزاً عن التفكير ، يخترق الألم جسده مع كل خطوة يخطوها ، استنفد الألم طاقته وشعوره ، ولقد اختار الأمير

توقف فجأة ، ودفع بعض العشب جانباً ، ثم قال بلهجة أمرة :
« كل هذا . أشار إلى ورقتي شجر شديديتي الخضرة ، نبتتا
متلاصقتين فى الأرض ، أطاعه بامبى ، كان طعمهما لاذعاً يشير
الغيثان ، وبعد فترة سأله الأمير : كيف حالك الآن ؟

أجاب بامبى : « أحسن » ، شعر فجأة بأنه قادر على الكلام ،
هدأت آلامه ، وخف تعبهُ .

وبعد راحة قصيرة قال له ذكر الغزال العجوز : هيا نمضى
فى طريقنا ، تبعه بامبى مسافة طويلة ثم سمعه يقول « أخيراً »
وتوقفا .

قال الأمير : لقد توقف النريف ، لم يعد الجرح يفرغ ما فى
عروقك من دم ، ولهذا لن يترك أثراً على الأرض يوشى بك ويدله
هو أو كلبه على مكانك .

بدا على الأمير القلق والتعب ، وإن كشف صوته عن رنة فرح
حين استطرد قائلاً : هيا - الآن نستطيع أن نستريح . وصلا إلى
حفرة واسعة لم يرها بامبى من قبل ، هبط الأمير إليها فى حذر
واقضى بامبى أثره ، بذل بامبى جهداً كبيراً ليضبط توازنه وهو
يهبط فوق المنحدر الوعر ، كان ينثر ويستعيد توازنه ليتنثر من
جديد ، وقد تقطعت أنفاسه .

قال له ذكر الغزال العجوز : لا أستطيع مساعدتك ، حاول أن

الفصل التاسع عشر

ذات مساء ، وبينما كان الهواء يوشوش أوراق الخريف المتساقطة ، صرخت البومة صرخة حادة نافذة من بين الأغصان ثم صمتت ، وتلصص بامبي بعينه ، يختلس النظر من بين أوراق الشجر في محاولة لاستكشاف الأمر .

طارَت البومة من غصن إلى غصن ثم صاحت من جديد ، وصممت ثانية ، ولكن بامبي لم يقل شيئاً ، ولم تتمالك البومة نفسها وسألته بعد أن استاءت لموقفه نحوها : ألم تخف ؟ .

أُجَاب بامبی : قلیلا .

قالت البومة فى ضيق وغضب : هذا كل ما فى الأمر - خفت قليلا فقط ، كنت تفرع من صوتى وأبتهج لخوفك ، ولكن لماذا لم تعد تخاف الآن منى ؟ ، وتغيظنى وتقول قليلا فقط .

حاول بامي أن يجيب ويقول لها : « لا لم أكن أخافك » ولكنه
آثر الصمت ، فقد ساءه أن يرى البومة غاضبة ، حاول أن يواسيها
ويهدئها فقال لها : « ربما لأنني كنت أفكر فيك لحظتها . سرت
البومة لكلامه فقالت : ماذا ؟ هل حقاً كنت تفكر في ؟ .

على بعد خطوات قليلة ، دهمه شعور خوف قاتل ، وسرت في جسده رغبة مفاجئة في الفرار ، ولكنه سمع صوت الأمير المعجوز يناديه : « قف » .

تلقت بامبى حوله ورأى الأمير المعجوز واقفاً في هدوء حيث كان الشبح راقدًا على الأرض . حلق فيه بامبى مذهولاً . وثارت في نفسه مشاعر متناقضة عديدة بين توقع لخطر داهم ، وفضول ورغبة في المعرفة ، وطاعة لكلمة الأمير ، وخطا خطوتين نحو الأمير . قال له ذكر الغزال المعجوز : اقرب ... لا تخف ..

كان الشبح راقدًا على ظهره ، ووجهه الأبيض الشاحب العارى إلى السماء ، وقبعته بجانبه فوق الثلج ، ولكن بامبى الذى لا يعرف شيئاً عن القبعات ظن أن رأسه المهول قد أنشطر إلى اثنين . ورأى قميص الصياد الذى اعتاد انتهاك حرمة الغابة وقتل الأبرياء ، مفتوحاً حول الرقبة ، وفى صدره جرحاً نافذاً واسعاً كأنه فم مفتوح أحمر قاتم . وكان الدم يتزف منه ببطء ، وجف الدم وتجلط فوق شعره وحول أنفه ، وبجواره بركة دم تغطى الثلج الذى ذاب من أثر الدفء .

قال الأمير المعجوز بصوت هادئ : نستطيع أن نقف بجواره ، إذ لا خطر منه . نظر بامبى إلى الكائن الممدد على الأرض ، وبدت أطرافه ولون جلده اموراً غريبة تثير فى نفسه الخوف والهلع ، حلق فى العينين الميتتين اللتين تحمقان فيه وقد مات فيهما البصر ، ولم يفهم بامبى شيئاً .

الفضل الحادى والعشرون

طلع فجر يوم من أيام الصيف حاراً ، وكان الجو خانقاً زمناً
ليس فيه نسمة هواء ، ولا حتى لسعة البرد الخفيفة المألوفة مع
مطلع كل فجر ، وبدا وكأن الشمس أسرع فى إشراقها عن
المعتاد ، إذ أطلت سريعة ، وسطعت متوهجة ، فكانت شعلة تبهر
البصر بأشعتها الوضاءة .

وفى لحظة جف الندى من فوق أشجار المرج ، ويسىء الأرض
حتى تفتت التربة وتشققت ، وسكنت الغابة منذ ساعة مبكرة ، فلم
تعد تسمع غير طائر نقار الخشب ينقر بين الحين والحين ، أو الحمام
يهدل فى رقة مشبوبة العاطفة .

كان بامبى واقفاً فى فسحة صغيرة ، يصنع فرجة ضيقة وسط
الأجمة يأوى إليها ، وتردد طنين بين أوراق شجر البندق بالقرب
من بامبى ، وزحفت خنفساء الربيع ثم حومت يبطء حوله ، طارت
بين الذباب ، وارتفعت فى طيرانها قليلاً قليلاً حتى استقرت عند
قمة شجرة لتنام النهار بطوله وإلى حين المساء ، وضمت جناحيها
إلى جسمها بقوة ، وصدر عنهما أزيز رتيب .



١٩٩٨/١٠٧٠٤	رقم الإيداع
ISBN 977-02-5602-1	الترقيم الدولي

٧/٩٧/١٢٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)